عالم الحكايات ١

ملاعيب ثعاليبو

قصة هيباة ثعلب

سمير عبّاس

ملاعيب تعاليبو ـ قصه حياة ثعلب

ملاعيب تعاليبو
رواية
الطبعة الاولى ١٩٧٩

المركز المصرى السمعبصرى ـ لفنون الاطفال ـ القاهرة (تحت التاسيس)

ملاعيب تعالبو

قصة ثعلب

سمير عبد الباقي

- عملية السرقة الكبرى .
- لعبة اكل النيول .
- مذبحة الكتاكيت .
- ثورة أبو لبدة .
- المطاردة الرهيبة .
- محاكمة تعاليبو .
- الرحلة إلى القمة .
- فى خدمة الأمبراطور .
- السباق العظيم .
- مسائل هامة جدا . .
- إشاعات امبراطورية .
- سكين الأرنبة العجوز .

صورة الغلاف للفنان

Benvenuti

والرسوم الداخلية للفنانين :

Owen Wood

Ewert Karlsson

Eva Johanna Rubin

١ ـ عملية السرقة الكبرى

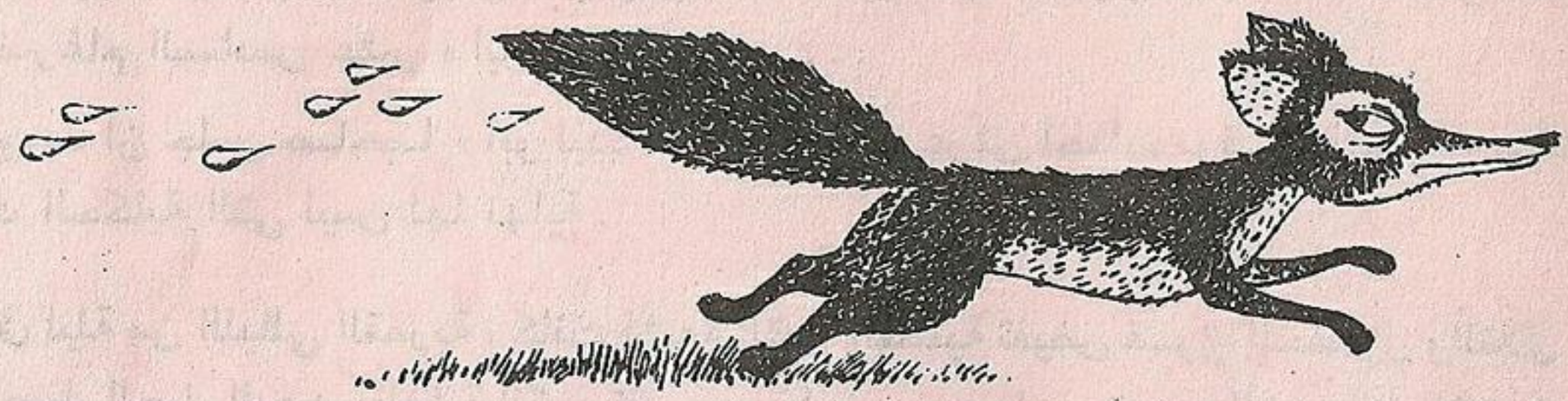

كان ياما كان ـ مثلما تقول الحواديت فى كل زمان ومكان ـ سنقول كان ياما كان ـ يا سعد يا اكرام فى سالف العصر والأوان ، حدث فى الزمان البعيد . . البعيد . قبل أن يولد جد جد جد جدى العزيز . وفى ذلك الزمان الذى كانت الحيوانات فيه تستطيع الكلام ـ فتصبح ملوكا وسلاطين .حدث فى غابة كبيرة بالقرب من النهر العظيم والجبل العالى ، وقريبا من الوادى الأخضر الخصيب الذى ينتهى الى شاطىء البحر العميق ـ وفى نفس المكان الذى ولدت بالقرب منه قريتنا ، حدث انه كانت تعيش جماعات من الحيوانات من كل الاشكال والأنواع والألوان . . سباع ودببه ، نمور وفيلة ، وغزلان وضباع وأرانب ، ذئاب وثعالب . . آكلة نمل وآكلة حشائش ، . زرافات وزرابين . . فئران وجعارين . بعضها له لون الذهب والآخر له لون الطين . وكانت ترافقها طبعا

جماعات من الطيور ، . هداهد وببغاوات ونسور ـ نقارى خشب ودجاج برى وصـقور . قبائل وعشائر لا حصر لها ولا عد من ذوات الأربع ومـن ذوى الاثنين ومـن اصـحاب الستة والثمانى بل (والأربع والأربعين) قدما وأكثر ! .

وكان على رأس كل هذه القبائل والجماعات ، ملك أسد شاب ، قوى ، وسيم ، مهـاب ، يملك لبدة قديمة رائعة ، ورثها عن جدوده الأقدمين ، لها سحر وخطر . ولذلك سمى الملك الضرغام السادس عشر « أبو لبدة المدهش » . .

وبعد أن جلس صاحبنا « ابو لبدة المدهش » على عرش أجداده بوقـت قليل . . . بدأت تلك الحكاية التى ليس لها نهاية . .

○

ف ليلة من الليالى القمرية ، كانت اشعة القمر الفضية تفيض فـوق الحقـول والتلال . وتحيط الجبل البعيد والغابة الكبيرة بسحر غامض مجهول ، وترسم الشجر ظـلالا على الطرقات والمسالك . وبضع نجوم قليلة سـاهرة ، ترقـب الأرض والحقـول الخـالية ـ أو التى تبدو خالية . كان الفلاحون ف القرية الصغيرة قد عادوا إلى بيوتهـم قبل غروب الشمس ، وناموا ـ فاستيقظت ف الحقول والبرارى حياة أخرى ،

أخذت الضفادع الضـخمة تمـرح وتغنى ف المسـتنقعات البعيدة المجهـولة ، وعلى شواطىء الجداول والقنوات ، يطارد بعضها البعض أو تطاردها الثعابين .

وانطلقت فرق كاملة من الجنادب وصراصير الحقول تعـزف وتصـفر ألحـانا بدائية جميلة . .

والتفت عائلة كاملة من القنافذ حول جدتها العجوز تسمع لها وهى تحكى الحـكايات العجيبة عن أجدادها ، يوم كانوا يحكمون العالم قبل أن يسوء الحـال ـ ويطـرد جنس

ذوى الأشواك الى الأماكن المهجورة المهدمة ، بلا قوة أو حماية سوى تلك الاشواك التى كانت زينة لطبقة الحكام فى يوم من الأيام .

وعند شاطىء النهر كان أبن عرس يتشاجر مع قطة برية لأنها تحاول أن تتقاسم معه البيض الذى سرقه من عش غراب نوحى يسكن عند المنعطف . .

وأغمضت حدأة عينيها وراحت فى نوم هادىء لذيذ بعد يوم طويل قضته فى الطيران على ارتفاع كبير فى الوقت الذى راحت فيه « ام قويق » تحكى لأبنها الصغير « قويق » عن مغامرة مثيرة وهى تحاول أن تدربه على حيل الصيد والانقضاض الفجائى فى الظلام . .

كان كل شىء يبدو هادئا . . وعاديا . . ومكررا . . ومشغولا بنفسه . لا أحد سوى « تعاليبو » كانت تشغله أمور أخرى غير عادية . . كان قلبه يدق بعنف . . وعقله يعمل بنشاط . . كان « تعاليبو » مشغولا يفكر ويدبر أمرا خطيرا ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يفكر فيها « تعاليبو » أو ينشغل بأمر خطير . .

ولكن تعاليبو كان يعتبر العملية التى سيقوم بها الليلة . . من أخطر العمليات التى يجب القيام بها . . لقد كانت المرة الأولى التى يهاجم فيها مكانا ضمن حدود القرية . . التى كان هناك اتفاق غير مكتوب لكنه (مختوم) من كل الحيوانات بعدم تخطيها أو الاعتداء عليها . .

ولكن تعاليبو لم يكن من النوع الذى تقف مثل هذه العقبات فى طريق رغباته . . ولقد قضى وقتا طويلا . . يدرس كل شىء . . الطرق . . والمسالك . . ويراقب رعاة القرية وهم يدخلون ويخرجون . . وعرف ساعات نومهم . . وأماكن كلاب الحراسة . . ولم يترك احتمالا واحدا لم يعمل حسابه . . وأصبح كل شىء معدا ... لكى يثبت للجميع . . أن

قدرته وذكاءه اكبر من أن تسعها حدود الغابة والبرارى فقط . . وأنه يستطيع حين يريد أن يهاجم الانسان فى داره . . وأن ينتصر عليه أيضا . .

ـ الليلة سوف تقتحم يا تعاليبو . . حظيرة الاغنام . .

وكان هذا قرارا همس به تعاليبو لنفسه وهو منطلق وسط الاحراش . . يراقب . . ويتأكد من المعلومات التى جمعها عن الحظيرة . . انه يعلم أن الليلة تزدحم الحظيرة بعشرات من الحملان الصغيرة . . وان بينها ذلك الخروف الابيض الذى حلم به ليال طويله منذ رآه يشرب من النهر ذات يوم وكأنه قطعة من القمر الفضى .

بعد فترة سيسود الهدوء ، وبعد أن ينتهى الرعاة من حساب المواليد الجديدة ، سيقترب الفجر وستتعب الكلاب قليلا . . وتكف عن العواء ، وتخلد للراحة اطمئنانا لقرب النهار . . وللثقة أنه ولا أبو لبدة المدهش نفسه يفكر فى غزو القرية . .

وعندما وصل تعاليبو الى هذه النقطة كان قد وصل الى قمة تل صغير . . فنظر الى السماء التى يسبح فى بحرها القمر . . وامتلأت عيونه بالثقة ، واطلق صيحة جوع مميزه ، فرفعت الحدأة رأسها ببطء ونظرت نحوه وابتسمت فى هدوء وانكمش « قويق » الصغير فى حضن أمه البومة بينما قفزت الضفادع الضخمة الى الماء وكفت عن الثرثره . . وهرب ابن عرس والقط واختفيا وكل منهما يهدد الاخر ويتوعده بالهزيمة والعقاب فى وقت آخر . . وتكورت عائلة القنافذ وسكنت كالحجارة . . وصمت كل شىء ، ولمعت مئات العيون واهتزت عشرات الاذان . . تتسمع خطى « تعاليبو » . . فأحس أنه فى مملكته الحقيقية وأن « أبو لبدة المدهش » نفسه يتمنى لو أنه كان فى موضعه ومكانه . وفكر فى أن عشرات الوحوش سوف تتحدث عنه باحترام عندما تعرف الشىء الذى يجعله يصيح الآن !

وهنا رفع رأسه ومد رقبته ، وصاح صيحة أخرى لها طابع آخر ، كانت صيحة اعجاب بنفسه هذه المرة . انطلق على اثرها يبحث عن الحلقة الاخيرة فى خطته الكبرى . .

لقد دبر كل شيء . . من أين سيدخل الحظيرة وكيف ؟ . . ومتى سيصل الى هناك . . وكيف سيهرب ساعة الخطر . . وهو يعرف تماما اين سيكون « حملة » الابيض المفضل ، كل شيء جاهز ما عدا . . ذلك الشخص الذى سيؤنس وحدته عند الذهاب ! ! ويشغل الرعاة وكلابهم عنه عند الهرب . . فانه يعرف يقظة الرعاة وشراسة كلابهم ولا يريد أن يعرض لحمه لاسنانهم الحامية ولابد من رفيق غبى يسهل خداعه . . ليقع بين أنياب الكلاب بدلا منه . . وفجأة . .

صرخ (تعالييو) ـ بوولى ى نياب ! ! ! نعم بولينياب ولا أحد غيره . .

وما ان نطق بالاسم حتى أخذ يقفز سعيدا ، يطارد ذيله المنفوش وهو يدور حول نفسه . وكانت هذه عادته المفضله كلما هز قلبه الفرح هزا شديدا . . .

نعم هو (بولينياب) ولا أحد غيره يصلح لهذه المهمة . . فإنه على الدرجة الكافية من الغفلة ليصدق تعالييو ، مهما كان كلامه بعيدا عن التصديق ، وهو على درجة عظيمة من الغباء والحمق تكفى ليكون الفريسة السهلة للكلاب . وكان تعالييو واثقا من انه سيخدع بولينياب ، فله معه تجارب وقصص وحكايات كثيرة . . وكانت ثقته الكبيرة فى نجاحه هى سر سعادته الغامرة ومطاردته لذيله بهذه الطريقة . ثم اكتملت سعادة تعالييو عندما لمح ورقة بيضاء تطاردها الريح فى ضوء القمر ، فأسرع وراءها وامسك بها ونظفها جيدا وطواها بعناية وحرص . ثم انطلق كالسهم رأسا الى بيت الذئب بولينياب ـ صديقه اللدود ! ! !

كان بولينياب يرقد امام بيته جائعا يتأمل القمر فى غيظ ، وهو يتمنى لو اختفى أو انشقت السماء وابتلعته الى الأبد لأنه السبب فى قلة الطعام والفرائس . فالليالى المظلمة فقط ـ هى التى تسهل للصوص الحظائر . . ومفترسى الحيوانات الصغيرة عملهم الليلى ! !

وانتبه بولينياب عندما لمحت عينه المفتوحة دائما صديقه تعاليبو قادما من بعيد . ففتح عينه الثانية وأخذ يراقبه فى حذر . وبعد قليل قام نصف قيام حين تأكد ان تعاليبو الذى يقفز فى خفة ويرقص ـ قادم نحوه كالريح . عندها همس لنفسه :

ـ لابد ان شيئا خطيرا هو الذى جاء بتعاليبو إلى هذه الناحية فى ليلة كئيبة مقمرة مثل هذه الليلة . وازدادت دهشة بولينياب وفاض به حب الاستطلاع . عندما رأى تعاليبو يلوح له بورقه بيضاء تلمع فى ضوء القمر ! .

ولما وصل تعاليبو الى حيث كان يقف مشهرا أذنيه كان حب الاستطلاع قد بلغ به مبلغا كبيرا . وخيل أليه أنه سوف يموت من اللهفة لمعرفة (السر) على الفور . لكن تعاليبو الذى يعرفه جيدا تعمد ان يراوغه . فاخذ يلهث من التعب ، وهو يدعى انه لا يستطيع الكلام ، محاولا ان يلتقط انفاسه . ونفذ صبر بولينياب فزمجر غاضبا . . .

ـ ما الحكاية ؟ . . .

عند ذلك ، التقط تعاليبو انفاسه . . وقال :

ـ حكاية ! ! لكنها مثل الرواية ؟ . عجيبة غريبة ، يا بولينياب يا حبيبى ولا تحدث الا فى كل قرن من الزمان مرة واحدة . وكتم بولينياب زمجرته وصرخ وقد نفذ صبره . .

ـ وما هى ؟ . .

فابتسم تعاليبو وهو يهمس فى اغراء . . .

ـ اللحم يا بولينياب اللحـــم . أبشر، بكوم مـــن اللحـــم الطـــازج اللذيذ ، كوم كالتل ولا يختل .

وفقد بولينياب الجائع الغاضب وقاره عند سماعه لكلمة اللحم ، فصاح وهو يتلفـت فى لهفة حوله :

ـ أين ؟ . . اين هـــو ؟ وفى أى ناحية ، اننى أكاد اشـــم رائحته يا أعز الاصـــدقاء . اين ؟ . . ان بطنى خاوية كصفحة هذه السماء . فتظاهر تعاليبو بالحزن وقال :

ـ ولكنك طبعا كعادتك ستذهب وحدك ، وتتركنى . . .

فاحتج بولينياب ، مستنكرا :

ـ أنا ؟ . . كيف سأذهب وحدى ؟ انك انت الذى تعرف اين تلك الوليمه !وسكت برهـــة ثم قال : اية وليمة ؟ . . .

فقال تعاليبو :

ـ انك انت المدعو الى الوليمة . أما أنا فلم يرد اسمى ، فى كشوف المدعوين الرسمية ! وطبعا لن تأخذنى . . فربت بولينياب على ظهر صديقة فى حنان زائد وهو يقول . . .

ـ أنا ؟ أبدا انت اذن لا تعرف بولينياب ، لا . . لا . . انت لا تعـــرفنى بالتأكيد . قـــل لى أين هى ، وسنذهب معا طبعا ! هدأ تعاليبو بعد أن تأكد ان بولينياب أصـــبح مســـتعدا ، لابتلاع الشص كاملا . . فقال :

ـ انها دعوة الى وليمة فاخرة ، تقام كل مائة عام ، احتفالا بذكرى استئناس الانسان للخرفان . هناك ، فى حظيرة القرية . وقد أعطونى بطاقة الدعوة الخـــاصة بك ، وليس لى واحدة مثلها :

وسلمه تلك الورقة البيضـــاء التى وجـــدها فى الطـــريق ، بكل احترام وتبجيل فتناولهـــا

بولينياب منه بكل اهتمام وعظمه . . ثم اخذ يقلبها بين يديه فى غباء ، وهو لا يفهم شيئا . فأقترب منه وسأله :

ـ ولكن ما هذه الورقة ؟ . .

فقال تعاليبو :

ـ إنه الخطاب المرسل اليك ، الدعوة . . صحيح اننى تأخرت قليلا ولكن ما زالت أمامك فرصة اللحاق بالوليمة حتى قبل ان تبدأ ! . وزادت حيرة بولينياب وهو يتذكر حكايات كثيرة ووقائع حدثت بينه وبين تعاليبو فقال :

ـ اسمع يا تعاليبو ، لقد لعبت بى مرات عديده من قبل . وأنا أغفر لك الكثير لأننى سرعان ما أغفر حتى لأعدائى . ولكن لا تفعل معى شيئا سيئا الليلة . هذه الليلة بالذات ، فأنا جائع ، ولن احتمل أى خداع فى موضوع الطعام أو الولائم ! ! ليكن حديثك معى حديث (جد . . فى جد) ! ! وهنا تظاهر تعاليبو بالغضب والحزن لأن بولينياب يشك فى جديته ، وصاح :

ـ لقد جريت اكثر من عشرة كيلو مترات وأنا جائع لأحضر لك البطاقة ، رغم اننى لست مدعوا . ومع ذلك تستقبلنى بالشك فى حديثى . . وتكذيب ، رسالتى ، انها اهانة لا تغتفر ! .

وانفجر فى بكاء ونحيب مؤثر ثم أكمل من بين دموعه :

ـ انت دائما تشك فى منذ البداية ! وهذا كثيرا ما يسيبب سوء الفهم بيننا ، أنا الذى كنت أطمع فى أن تأخذنى معك ولو لتناول البقايا . !

ولم يحتمل بولينياب بكاءه فاندفع يحتضنه وقبله معتذرا ، ومؤكدا له أنه سوف يكون رفيق الشرف طوال الحفل وسوف يشترط عليهم ذلك والا فلن يذهب هو نفسه وهنا هدأ

تعالييبو وشرح له كل شيء عن تلك الوليمة النادرة وأكد له أن كل ذئاب المنطقة من سفح الجبل حتى الساحل مدعوين الى نفس الوليمة . ولما تساءل بولينياب عن السبب فى دعوة كل هذا العدد من الذئاب . ضحك تعالييبو وقال :

ـ انت اذن لا تعرف كيف تسير الأمور فى دنيا البشر انهم يقدمون لكم جميعا هدية بسيطة ليأمنوا شركم فيما بعد . ولما كنت انت يا بولينياب اكثر الذئاب شرا ، فقد جعلوك ضيف الشرف . هكذا تقول البطاقة ! !

فصاخ بولينياب :ـ

ـ عاش الشر والأشرار ! ! عاش . . عاش .

ورقص حوله تعالييبو . . معبرا عن سعادته بينما أخذ هو يحاول فحص الورقه ليزيل بقايا الشك عنده ! فتناولها منه تعالييبو وفردها فى ضوء القمر فبدت بيضاء ناصعة عليها كتابة واضحة أشار اليها وقال :

ـ انظر ! ! ها هو اسمك المبجل مكتوب بلغة البشر . وان لم تصدق هيا بنا الى اقرب (انسان) ليقرأها لك بنفسه ، بو لينياب العظيم ها هو ، انظر .

فتأمل بولينياب الورقه فى غباء وقال :

ـ أين ؟ ! اننى لا أراه ! .

فقال تعالييبو محتجا :

ـ عدت للشك فى كلامى ؟ . هذا سيجعلنى افكر فى الانتحار اننى لا احتمل لهجة الشك الدائمة فى حديثك . فاعتذر له بولينياب وصالحه قبل أن يعود للانتحاب :

ـ أنا لا أعنى ذلك يا صديقى . ولكن يبدو أن خط هؤلاء الرعاة ردىء جدا . أو لا بد انهم جهلاء لا يعرفون الكتابة ! .

فأشار تعاليبو وهو يقول فى سخرية خفيفة :

ـ لكن انظر ، انهم يحترمونك جدا بالتأكيد . فها هو الاسم مكتوب بخط كبير جميل . (بو . . ولى نيا ا ا ا ب . . ملك السهول والحقول والهضاب .) فابتسم بولينياب فى خجل مفتعل لأنها كانت المرة الأولى فى حياته التى يرى فيها اسمه مكتوبا فى ورقة رسمية وقال :

ـ قوم طيبون هؤلاء الرعاة ! لا بد انهم متعلمون جدا ، ولذلك أعلن اننى راض عنهم كل الرضا . ولسوف أكافئهم بالذهاب فورا الى عرسهم . ما معنى كلمة ـ هضاب هذه يا تعاليبو ؟ ! هه . . .

فضحك تعاليبو وقال :

ـ انت تعرف يا سيدى أن هؤلاء الرعاه قوم سذج وبسطاء جدا . ويستعملون كلمات غريبة للتعبير عن احترامهم الشديد لمن هم فى مثل قوتك وعظمتك وهى عادة من عادات البشر فهم عندما يخافون ملوكهم . . . يتحدثون إليهم بطريقة غير مفهومة على الاطلاق حتى لا يخطئون ! . وامتلأ الذئب غرورا ، وتخلص من خجله واصبح جاهزا تماما لكى يلقى به تعاليبو فى النار ، لو أراد ! ! .

وفجأة ـ صرخ تعاليبو وهو يحدق فى عينى بولينياب بقوه :

ـ بولينياب ! ! . نحن هنا نضيع الوقت فى مناقشات عقيمة حول معنى الكلمات الغريبة ، وهناك . . جيش من الحملان والخراف ينتظرنا على أحر من الجمر . هيا بنا هيا ، قبل أن يسبقنا ذئاب الساحل .

وانطلق الاثنان يسابقان الريح ، الى الحظيرة المنشودة وهما يقفزان فى خفة فوق الجسور مثل جياد الاساطير المسحورة تحت ضوء القمر الفضى . .

بالقرب من الحظيرة توقف تعاليبو فجأة ، فاضطر بولينياب للوقوف وسأل فى دهشة :

ـ لماذا توقفت ؟ . . ألم تقل اننا تأخرنا عن الموعد ؟ فقال تعاليبو وقد سره اندفاع بولينياب ولهفته فقال :

ـ فعلا ! . ولكنى اريد فقط ان نفاجىء المدعوين والرعاه . فتأخر انت قليلا ، وسوف اسبقك انا فى هدوء . وعندما ترى اننى اصبحت فوق السور ، اتبعنى على الفور فسأكون قد أعلنت لهم أن ملك السهول والحقول والهضاب قد فضل قفز السور على الابواب . . .

وانفعل بولينياب وضحك وهو يتخيل أثر المفاجأة المنتظره على مستقبليه المنتظرين ! . . وأمر تعاليبو أن يتقدم على الفور .

وفى هدوء محسوب ، تسلل تعاليبو وهو يحسب حساب كل حركة . فقد كان يعرف جيدا أن الرعاه يجلسون فى الناحية الاخرى حول نار خافته وقد غلبهم النعاس ويعرف ان كلابهم تغالب النوم بعد طول السهر . ولكنه يعرف أيضا أن اى صوت سوف يوقظ الجميع فى لحظة .

وعندما لمع جسمه فى ضوء القمر وهو يقفز عبر السور فى حركة خاطفة بارعة اندفع بولينياب مزمجرا ، زمجرة ملك حقيقى مدعو لوليمة فاخرة رسمية عند الرعية . وما ان اصبح بولينياب داخل السور ، حتى كان تعاليبو قد قفز فى لمح البصر خارج السور حاملا خروفه الابيض المفضل واختفى وسط النباتات ! ! .

بينما أخذ بولينياب يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، مطمئنا لمكانته وحظوته المزعومة عند الرعية التى دعته الى الوليمة . واسكرته رؤية الدماء فأخذ يرقص ويغنى :

ملك الحقـــول والهضـــاب . . من اســمه بولينيـــاب
يشـــكركم من قلبـــه . . على الطعـــام يا صحـــاب

ثم انتبه لباب الحظيرة عندما دفع وفتح على مصراعيه ، فـــأخذ يرحـــب بالقـــادمين ، ويدعوهم بكل تواضع أن يشاركوه طعامه البسيط ! وصكته هراوة ضخمة فوق أم رأسه فترنح ، ولكنه تماسك ظنا منه ان هذا دعابة مـــن دعابات الرعاه . ولكن هـــراوة أثقـــل قسمت ظهره ! واتبعها كلب بعضه نهشت مؤخرته ، بينما أطبق كلب آخر رهيب على لحم ظهره . ثم توالت الهراوات وانهالت كالمطر مما جعله يتأكد تماما أنها لا يمـــكن ان تكون مداعبة أصدقاء . فحاول ان يتكلم متســـائلا عن سر تبدلهـــم . . ولكن احـــدا لم يســـتمع اليه . . فحاول الهرب ولكن الحصار كان شديدا حوله فـــزعق بكل قـــوته ينادى صـــديقه اللدود تعاليبو ، الذى اكتشف انه قد اختفى :

تعـــاليبو يا تعـــاليبو . . تعـــالى واشـــرح لـــهم
هات الخطـــاب والبطاقـــة . . ليرحمـــوا ملكهـــم

وتحت وابل الهراوات القاتلة ، ومن بين صفير وهدير العصى فى الهواء وزمجرة الكلاب المسعورة الغاضبة ـ جاءه صوت تعاليبو الذى كان يحمل الحمل الابيض ويجرى مبتعد وهو يقول :

أسفى كبير يا ملك . . كل السهول والهضاب
ماذا تفيد البطاقة ؟ .
رعيان مملكتك . . إن أبصروا بالذئاب
لا يعرفون القراءة ! !

٢ ـ لعبة أكل الذيول

قبل غروب الشمس بقليل استيقظ (تعاليبو) من نومه ، وخرج يشم هواء المساء الرطيب . كان يحس سعادة لانهائية ويشعر بثقة كبيرة ورضاء عميق عن نفسه ! .

كان تعاليبو قد تناول مع عائلته غذاء شهياً لذيذاً من السمك حصل عليه هو وابنه (تعلبان) بحيلة طريفة خدعا بها أحد رجال السواحل . ولأنها كانت المغامرة الأولى التى يشاركه فيها ابنه (تعلبان) الذى أثبت خلالها أنه ابن أبيه حقاً ـ كان تعاليبو يحس أنه أسعد وأعظم ثعلب على ظهر الأرض ! .

وكانت زوجته (تعلوبة) تجلس أمام الجحر فى هدوء تخيط قميص ابنها (تعلبان) الذى تمزق وهو يعبر السياج فى مغامرة (الأسماك) ولما لمحت زوجها نادته قائلة :

ـ لن تخرج الليلة للصيد ياتعاليبو ، فإن لدينا كمية كبيرة من السمك تكفى ليومين

وزياده ، ابق معنا الليلة . . لاعب الأولاد قليلا فإنك تغيب عنهم كثيراً . .

وفرح (تعاليبو) فعلا لفكرة البقـــاء بالبيت مـــع زوجته (تعلوبة) وولديهَ الصـــغيرين (تعيلب) و (تعلبان) ! .

وكان (تعيلب) على عكس أخيه (تعلبان) شرهاً أكولا بطىء الحركة ، بل يكاد يكون غبياً . وعندما تراه يجرى يصبح مثل كرة بلا أرجل لا ترى الطـــريق ، فتمضى تتعثر فى كل شىء وتصطدم بكل شىء .

أما (تعلبان) فقد كان (ابن أبيه) ، خفيف الحركة ، شديد الذكاء ، يأكل قليلا ويفـــكر طول الوقت . ويطلب من أبيه دائماً أن يحكى له عن تاريخ الثعالب ومغـــامراتهم ! ولذلك كان تعاليبو سعيدا به لأنه يرى فيه « تعاليبو » صغير . . جديد . سوف يكمل طـــريق أبيه ورسالته ! !

ولما عرف الولدان أن أبيهما سوف يلعب معها الليلة ، قفزا وزاطا واحتضن (تعلبان) رقبة والده سعيدا . بينما اندفع (تعيلب) كالقذيفة معبراً عن سعادته فـــاصطدم بهمـــا ، صدمة شديدة أوقعتهم فتدحرج الجميع فوق المنحـــدر الصـــخرى ضـــاحكين ، محـــدثين ضوضاء كبيرة جعلت فأر الغيط ينكمش خائفا ، دافعا بأولاده إلى داخل البيت ، بينمـــا تكورت عائلة من القنافذ وابتعدت سلحفاة صغيرة عن الطريق مرتعبة وطارت بومه وهى تحتج غاضبة وهى تغمغم :

ـ الأفضل أن أترك المكان لهؤلاء الأوغاد المزعجين . . .

وفجأة . . .

انتفخت أنف تعاليبو وارتعشت شواربه وارتفعت أذناه فـــوق جبهته وأخـــذ يتشـــمم الهواء باهتمام . . وكف (تعلبان) عن الضحك هو الآخـــر وأخـــذ يقلد والده . ثم ســـأله تعاليبو بعد فترة :

ـ هل شممت ما أشم ؟ . .

ـ فقال (تعلبان) وهو يحاول أن يبدو كبيراً وجادا وجديرا بثقة والده :

ـ نعم ! إننى أشم رائحـــة أرنب ودجـــاجة وديك و . . ولكن . . هـــل تشـــم أنت ما أشم ؟ . . . غريبة . . . فقال تعالييو :

ـ نعم ! غريبة فعلا ، إنه (بولينياب) . لابد أنها ضربة حظ أو صدفة موفقة ، فهو على درجة من الغباء لا تمكنه من الحصول على ثلاثة بضربة واحده ! . .

وطوال هذا الحديث كان (تعيلب) يدير رأسه بينهمـــا فى بلاهـــة وهـــو لا يفهـــم ما يقولان ! !

وضحك (تعلبان) وقال :

ـ فعلا : إنه غبى فكيف يحصل على ثلاثة بضربة واحده . .

وقال تعالييو عند ذلك :

ـ اذهب (يا تعيلب) وابق عند أمك . وتعالى أنت معى فأمامنا عمل كبير هـــذه الليلة ! سنلعب قليلا مع الذئب . .

ثم انطلق الاثنان ، بينما تدحرج (تعيلب)عائدا لأمه يشكو لها ويبكى قائلا :

ـ لقد ذهبا للعب مع الذئب ومع حيوان لا أعرفه اسمه ضربة الحظ . وتركانى وحدى !

○

هبط (تعالييو) وابنه المنحدر الصخرى وكل منهمـــا يحلم بمغـــامرة هـــائلة ولم يكن (تعلبان) يعرف ما يدور فى رأس والده ، لكنه كان يقول لنفسه (لابد أنه يفكر فيما أفكر فيه !) وكلما ازدادت الرائحة قربا ، ازدادت خفقات قلب (تعلبان) وزاد انفعاله . .

وأشار تعالييو لابنه عند المنعطف فتوقف الابن وعرف على الفور أن عليه أن يراقـــب

من بعد دون أن يظهر أو يتكلم . إلا عند الحـــاجة فـــاختفى فى مثل لمح البصر وكأنه قـــد تبخر ! !

وهناك ، قريباً من أكمة الصبار كان الطابور العجيب يقبل مسرعا . فى مقـــدمته كانت دجاجة حمراء لها ذيل أسود لامع ، و خلفها ديك ذو عرف قرمزى وبعده أرنب رمـــادى . ووراءهم بخطوة واحدة ، كان (بولينياب) يلهث ويتلفت حوله وقد لاح على وجهـــه غباء غير عادى . وظهرت واضحة على ظهره آثار الضرب المبرح الذى ناله فى حـــظيرة الأغنام منذ أيام . .

وهمس (تعلبان) من مخبأه مخاطبا والده :

ـ لا يمكن أن يكون قد صادهم يا أبى إنه يجرى مثلهم . ويبدو أنهم جميعـــا خـــائفون من شىء ما ! . . .

فقال تعاليبو :

ـ فعلا ، الأمر كما فهمت ، وسترى الليلة حكاية ثعلبية هائلة ستحفظها الأجيال ! .

وتقدم وحده يعترض طريق الطابور المذعور فى ثقة .

وفوجئت الدجاجة بالثعلب يعترض طريقها فاضطرت للتوقف فجأة فاصطدم بها الديك صارخاً وتعثر بولينياب فى الأرنب فتدحرج الاثنان معا إلى قاع قناة مجاورة

واختلطت زمجرة الذئب بصياح الدجاجة الخائف وصرخات الديك واحتجاج الأرنب .

ثم تنبه الذئب لما حدث فصاح غاضبا :

ـ أنت ؟ انتظر وسوف أنتقم منك ، أيها الكاذب

فابتسم تعاليبو متجاهلا تهديده وقال :

ـ دعك من الشجار الآن يابولينياب . لا يجب أن نتعارك فى وجود مثل هؤلاء الصـــغار فماذا يقولون عنا . . . هيا قل لى . . إلى أين ؟ . . ما الذى جرى فجعلكم تجـــرون هـــكذا

كالمجانين إننى منذ الصباح أرى حيوانات تجرى هنا وهناك ، هل هو سباق ؟ . . قل لى أنت (يا بولينياب) فأنت أكثرهم عقلا وحكمة طبعاً . لماذا يجرى الجميع اليوم ؟ . . .

فزمجر الذئب وهو ينفض التراب عن جسمه قائلا :

ـ لقد سقطت السماء على الأرض ! !

وكتم (تعلبان) ضحكة كادت تفلت منه وتكشف مكانه وتفسد كل شىء . بينما تلفت (تعالبيو) حوله فى هدوء ودار بعيونه بين الأرض والسماء وقال : هل تظن أن السماء سقطت لأنك وقعت فى القناة . .

فصاح بولينياب غاضباً :

ـ لا طبعاً لست مسئولا عن ذلك لست أنا السبب ! . لقد سقطت السماء قبل أن أسقط فى القناه . . أسأل الأرنب !

وتأكد تعالبيو أن حالة الغباء ما زالت بخير وأنها تخيم فوق رأس صاحبه بولينياب كسحابة الدخان الأسود .

فالتفت يسأل الأرنب :

ـ أين ومتى ، حدث هذا يا أرنبى العزيز ؟ . .

وكانت عادة الأرنب أن يرتعد كلما سمع صوت الثعلب . فما بالك وهو واقف أمامه وجهاً لوجه وخرج صوت الأرنب غريباً لا يشبه صوت الأرنب وقال :

ـ أنالست أرنبك . أنا أرنب نفسى فقط ولست تابعاً لأحد ! . .

فابتسم الثعلب ابتسامة مشجعة ليكسب ثقته وقال . . .

ـ لا تخف يا صديقى ، أنا أعرف هذا إنما أنا أمازحك فقط . فقل لى متى سقطت السماء وأين ؟ يا أرنب نفسك ! .

فقال الأرنب :

ـ أنا لا أعرف لأن الديك هـو الذى أخبرنى بذلك ، عندمـا شـاهدته يجـرى خلف الدجاجة وهو يصيح مذعوراً . انجوا بأنفسكم لقد سقطت السـماء ! !! فنجـوت بنفسى وأى عاقل يجب أن ينجو بنفسه فى ظروف صعبة مثل ظروف سقوط السماء . فاجر معنا أنت الآخر لنجد مكاناً أمينا نحتمى فيه جميعا من الهول .

واستدار الثعلب إلى الديك ذو العرف القرمزى وسأله فى عطف زائد :

ـ ولكن يا صديقى الديك الطيب ، هل رأيت السماء تسقط بعينيك ؟ . .

فأنكر الديك طبعاً . . وقال :

ـ لا طبعاً ، لقد استنجدت بى الدجاجة . وجائتنى صارخة مذعورة وهى تقسـم أنهـا رأت السماء تسقط . وكان لابد أن أصدقها خاصة وقد قالت أكثر من هذا ، لقد أخبرتنى أن قطعة صغيرة من السماء سقطت فوق رأسها تماماً . .

وهنا ربت تعاليبو بحنان زائد على رأس الدجاجة وقال :

ـ آه يا مسكينة أعرف شعورك الآن . أين اصابتك ؟ آه ، هنا . يا ليتنى كنت بدلا منك . ولكن كيف حدث هذا يا صديقتى ؟

وخفضت الدجاجة رأسها فى خجل وخوف . . ثم حكت الحكاية من البداية :

ـ لقد كنت أنبش الأرض بحثا عن حبة قمح صغيرة ، ظلت تهـرب منى حتى اختفـت تحت حجر يسند عمودا من الخشب . . ولكننى كنت قد بدأت أغضب منها وصـممت على أكلها ، فأخذت أنبش التراب حول الحجر الذى يسند العمود . وبعـد فترة اسـتطعت أن أزحزحه بعد أن حفرت تحته فجوة كبيرة فاهتز وسقط . ومـا أن سـقط حتى سـمعت صوتاً كالرعد ، لقد انهارت السماء فجـريت صـارخة لأحـذر الطيور والحيوانات مـن الكارثة ! !

ولم يستطع (تعلبان) أن يكتم ضحكاته إلا بعد أن وضع زلطة فى فمه ، وكتم أنفـاسه

ليسمع ما سيقوله (تعاليبو) رداً على ذلك :
وتعجب عندما قال والده :

ـ طبعاً ! . إن جميع الطيور والحيوانات وأنا . . بالنيابة عنهم أشكرك ! لقد كانت حكمة منك أن نبهت أصدقاءك قبل فوات الأوان ، والآن يجب علينا جميعا أن نبحث عن مكان نختبىء فيه فوراً ، ـ هيا بنا ! !

وانطلق يجرى أمامهم . . فسأله الذئب وقد بدأ الشك يراوده : ـ
ـ إلى أين ؟ . .
فالتفت إليه فى ود واقترب منه وهمس كأنه يختصه بسر عظيم : ـ
ـ عندى مخبأ أمين ! .
لكن (بولينياب) الذى خدعه (تعاليبو) عشرات المرات فى حكايات مثل هذه تماما ، وبكلام ناعم كهذا بالضبط قال مظهرها شكوكه : ـ
ـ أنا أشك أن هناك أى مخبأ تعرفه ، سوى بيتك طبعاً يا لئيم ! .
ولكن (تعاليبو) أسرع يعاتبه فى حنان . . قائلا : .
ـ لا (يا بولينياب) ! . ليس الوقت ملائما لذلك ، دع شكوكك وسوء ظنك جانبا ، نحن جميعاً فى خطر وقد نموت كلنا فجأة ! هيا لنجد مكاناً أمينا لحماية أنفسنا أولا ، وبعدها نتشاجر حتى الصباح أو نختلف إلى الأبد . هيا إلى المخبأ فما ذنب هؤلاء الأبرياء لتضيع حياتهم بسبب خلافاتنا التى لا تنتهى ! !
وهنا صاح الثلاثة الباقون فى وقت واحد : ـ
ـ خذنا إليه (يا تعاليبو) بسرعة ، نحن لا نريد أن نموت !
ورد (تعاليبو) بصوت مرتفع ليسمعه (تعلبان) . .

ـ هيا تعالوا ورائى ، أتبعونى . المكان هناك ، عند شجرة التين الكبيرة بجـوار النبع المهجور ! هناك حفرة كبيرة سننزل إليها !

وهنا اعترض الذئب مرة أخرى قائلا :

ـ حفرة كبيرة ؟ . . وكيف سنخرج منها إن كانت عميقة ؟ . .

إبتسم تعاليبو ورد بسرعة ، ليمنع تردد الآخرين . .

ـ يا بولينياب ! . (يابولى) ! ! لقـد أصـبحت اليوم أذكى حيوانات البرارى ! ، لقـد أصبحت تسأل عن طريقة الخروج قبل الدخول . . لا ! . هـذا تطـور عظيم ! و يجـب أن تشكرنى عليه ، نعم ! لأن صداقتى لك هى السـبب فى ذلك . . عندك حـق طبعاً ، ولكن ! . ماالعمل هل تريدنا أن نختبىء فوق التل ، فتسقط السماء فوق رؤوسنا ؟ !

فقال الثلاثة الآخرين فى رعب واستنكار : ـ

ـ لا . . طبعاً ! . فى حفرة أفضل حتى لا تصل إلينا السماء ! .

وهنا حسم تعاليبو الأمر قائلا : .

ـ إذن لا أريد كلمة واحدة ، هيا بنا . وإذا كنت لا تثق فى أمانتى وقدرتى على حمـاية هؤلاء الأبرياء فارجع أنت وابحث لنفسك عن مخبأ يليق بك ! ! .

ولم يرد (بولينياب) وإنما مضى خلفهم بلا اعتراض . وهنا صاح (تعاليبو) فى اعجاب زائد بنفسه : ـ

ـ لقد كنت أعرف أنها ستكون ليلة (ثعلبية) كبيرة ! !

ولم يفهم أحد من رفاق الطابور الهارب معنى كلام (تعاليبو) ! ، تعلبان فقط هو الذى فهـم مـا يعنيه والده و تمنى أن يكون بجـوار والده سـاعتها لكى يقبله قبلة (ثعلبية) كبيرة !

مضى (تعالييبو) أمام طابور الهاربين حتي وصل إلى الحفرة . ولكن (بولينياب) أراد أن يتأكد أن (تعالييبو) لا يخدعه هــذه المرة . فــطلب منه أن يقفــز أولا إثباتا لحســن نواياه . وطبعا لم يتردد تعالييبو فقد كان هذا ضمن خطته . فقفز على الفور وهو يقــول : (مع أنكم أنتم الذين رأيتم السماء تسقط ولست أنا) . .

واطمأن قلب الجميع فقفزوا إلى الحفرة خلف الثعلب .

وبعد أن استراحوا قليلا والتقطوا أنفاسهم نظروا إلى أعلى باطمــئنان وقــال الذئب معترفا :

ـ آه ! . لقد نجونا فى اللحظة الأخيرة انظروا لقد انطبقت السماء على الأرض فعــلا ! إنها تغطى الحفرة تماماً الآن ، حتى النجوم نفسها ، إزداد لمعانها أصبحت فوق رؤوسنا تماما ! !

وهنا قال تعالييبو : .

ـ نعم ! . تماماً ولكننا أيضاً نسينا شيئا هاما ـ تماما يا صديقى . . ولم يكن ممــكنا أن أنساه فأنا لا أنسى شــيئا تمــاما ، ولكنك تعجلتنى وجعلتنى أقفــز أولا ، فنســيته تماماً ! !

فصاح الجميع فى وقت واحد : ـ

ـ ماذا ؟ما هو هذا الذى نسيناه تماماً ! .

قال تعالييبو فى حزن : ـ

ـ لقد نسينا أن نحضر طعاماً . صحيح أننى تعشيت قبل حضورى مباشرة وأستطيع البقاء شبعاناً حتى الصباح ولكننى أتكلم عنكم أنتم يا مساكين ! وهنا نسى (بولينياب) قصة السماء . فقد وجد نفسه كعادته ساعة أن يذكر الطعام ـ يشــعر فجــأة بأمعــاءه تصرخ وتتلوى من الجوع ، خاصة وهو يرى أمامه فى حفرة واحدة ضيقة دجــاجة وأرنباً

وديكاً ـ يصلحون عشاء شهياً للأسد الأمبراطور نفسه ! !
وارتعشت الدجاجة !
وأحس الأرنب أن الأمور ستسوء عما قريب ! . بينما صاح الديك وهو يصطنع المرح . .
ـ أنا والدجاجة والأرنب لن نحس بالمشكلة . وهذا وإن كان يخفف عنا ، لكنه للأسف يحزننا لأنكم لن تجدوا طعاماً يصلح لكم فى مثل هذا المكان . ان أرض الحفرة بها من الحبوب والبذور والحشائش الجافة ما يكفينا نحن ، ولكن المشكلة الحقيقية تواجهكم أنتم . . . و . . . والحقيقة أننا نفكر فيها مثلكما تماماً . . تم . . أ . .ما . . . فعلا. . . آه . .
قال الثعلب : لقد تعشيت كما قلت لكم وأستطيع أن أصبر حتى الصباح فقد تطير السماء مرة أخرى وتعود إلى حيث كانت قبل أن أحس بالجوع . . ولكن المشكلة فى الحقيقية هى مشكلة (بولينياب) ! ! اننى أسمع صوت أمعائه تتلوى وهو لا يستطيع تحمل الجوع كثيرا وهى عادة ذئبية سيئة ولكن ماذا نفعل ؟ . .
زمجر بولينياب وصرخ : ـ
ـ لا تثر أمعائى أكثر من ذلك ! . يجب أن تجدوا الآن حلا فوريا لمشكلتى والاساءت العاقبه !
غاظهر (تعالييو) أسفه وقال : ـ
ـ اهدأ (يا بولينياب) إهدأ واصبر لا نريد أن تبيت معنا وأنت غاضب ، هذا سيكون خطرا علينا جميعا ولذلك ، لابد أن نضحى بواحد منا لكى ينجو الجميع ! !
ارتعش الأرنب وهو يتجنب عيون (بولينياب) بصعوبة وقال وقد تهشمت حروف الكلام بين أسنانه : ـ
ـ ولكن . . من ؟ . . هل ستضحى أنت بنفسك فى سبيل الآخرين ؟ ! . .

فرد تعاليبو بسرعة كأنه كان يتوقع منه ذلك : ـ

ـ أنامستعد طبعاً ولكن إسمى جميل ! وستكون خسارة كبيرة لكل أهل الغابة والأحراش والبرارى أن يفقدوا صاحب اسم موسيقى مثلى إسمى

قال الأرنب وقد وقفت حروف الكلمات فى حلقه : ـ

ـ وما دخل الاسم فى حكاية مثل هذه ؟ . .

فقال تعاليبو بسرعة حتى لا يترك لأحدهم فرصة التفكير : ـ

ـ ان كان لابد وأن نضحى بأحدنا فليكن أقبحنا اسما فسيكون سهلا علينا فى المستقبل أن ننساه بسرعة وليس هناك أحد سيحزن على من كان اسمه قبيحا . ولكن هل يمكن لأحد أن ينسى اسماً موسيقياً مثل تعا ا ا لى ى ى بووو ه .

فأسرع الأرنب موافقا قائلا وكأنه غريق أمسك بطوق النجاة : ـ

ـ طبعا لا ! . ولا أراااا نى ى ى بووو ! إن إسمى . مثل إسمك تماما ، اسمع إنه موسيقى مثله تماما .

وقال (بولينياب) :

ـ ومثل اسمى طبعا ـ بولى نيااا ب ـ هذا الاسم شعر حقيقى

فطمأنه الثعلب على ذلك هامسا له أن أحدا لم يفكر فى التهامه . ثم التفت يسأل الديك فجأة : ـ

ـ وأنت ياذا العرف القرمزى ما اسمك ؟ .

فرد الديك وهو يصلى للسماء ألا تتخلى عنه حتى ولو كانت قد سقطت فعلا ! .

ـ اسمى ـ شكركم ! !

فقفز تعاليبو سعيدا وهو يصيح قائلا : ـ

ـ عظيم ! ! إسم جميل جدا أليس كذلك (يابولينياب) العزيز ، شكركم كم كم كم كم .
الله ! جميل جدا . . جدا .
ولم يعجب هذا (بولينياب) الجائع فقال . .
ـ أسماؤهم جميعا جميله . . فمن سنأكل إذن ؟ حكاية الأسماء هذه لا تنفع !
فغمز له (تعالييو) بعينيه متعجبا من غبائه وقال :
ـ صبرا جميلا (يابولى) العزيز !
والتفت إلى الدجاجة الحمراء ذات الذيل الأسود وقال :
ـ وأنت يا حلوه ! . ما اسمك ؟ ! . . .
فتراجعت المسكينة إلى الخلف وانكمشت وقالت :
ـ ليس لى اسم ! أنا لم يسمنى أحد ! ! فقست من البيضة وسـط عشرات الكتاكيت ، فلم يجدوا أسماء تكفى لنا جميعا !
وهنا قال تعالييو وكأنه يشهد الجميع على قانونية وشرعية ما سيحدث : ـ
ـ اذن ؟ أنت لا اسـم لك ! أى أنك لسـت مقيدة فى دفتر المواليد ، ولذلك فإن العـدالة تقتضى أن نأكلك أنت . أنا لى إسم فأنا موجود هذا هو المنطق الرسمى . لكننا إن أكلناك فإننا سنأكل شيئا غير موجود شيئا ليس له اسم وستصبح تضحيتك عظيمة جدا لأنهـا ستكون تضحية عادية من شخص نكره لانقاذ حياة رفاقه وسيصورها المؤرخون كأعظم تضحية فى الوجود ، وسيقولون فى صدر صحائفهم . . « دجاجة مجهولة تنقذ حياة رفاقها يوم سقوط السماء » وهذا كاف لتخليد ذكراك بالتأكيد . .
وهنا كشر الذئب عن أنيابه متسائلا والتفت (تعـاليبو) ناحية الديك والأرنب فـأسرع هذان يوافقان على ما قاله . ومن ثم يوافقان على ما سيفعله !
وفوق السطح هناك ، كان تعلبان يرقص سـعيدا بوالده العبقـرى ويتمنى لو أنه كان

هناك فى الحفره ، ليأخذ نصيبه من نصف الدجاجة الذى فاز به والده العزيز ! !

○

بعد أن كفت أصوات القرقشة والقرقضة وسكتت زقزقة الأمعاء الجائعة ، لم يعد (الأصدقاء) ـ الذين نزلوا معاً إلى الحفرة خوفا من سقوط السماء ـ يتحدثون كأصدقاء ! .

وبينما أكل تعاليبو جزءا من نصيبه ودفن الباقى سرا ، إلتهم الذئب نصف الدجاجة كله ، ومع ذلك لم يشبع طبعا

ولذلك لم يمض وقت طويل حتى عادت أمعاؤه تصرخ طالبة الطعام ـ فصاح : ـ

ـ تعاليبو ! أنا ما زلت جائعا جدا فمن الذى سنأكله بعد ذلك ؟

فصاح الأرنب فى رعب . .

ـ لا تأكلنى أنا فأنا حيوان مثلكما تماما ! أنظر ، إن جسمى يغطيه الشعر مثلكما ولى أربعة أرجل ولكن هذا الديك طائر من ذوى القدمين ويرتدى ثوبا من الريش الأحمق الملوّن !

وضحك تعاليبو وقال :

ـ إنك ذكى يا صديقى الحيوان لقد نجوت بفضل ذكائك الحيوانى . ولكن تذكر أنك أنت الذى اقترحت علينا أن نأكل صديقك الذى كنت تعيش معه فى حظيرة واحدة ولا نريد أن يأتى وقت يدعى فيه أحد المؤرخين أننا نحن الذين فعلنا ذلك ، أيها العالم اشهد أن الأرنب هو الذى اقترح علينا أكل الديك لأنه طائر لا تخف يا صديقى ، واهدأ فنحن لن نأكلك الآن فالذكاء قد يطيل حياة البعض فى بعض الأحيان .

واقتسم الذئب والثعلب الضحية الثانية ! .

ومثلما فعل بولينياب فى المرة الأولى ، إلتهم نصف الديك مرة واحدة . . بينما أكل تعاليبو جزءا من نصيبه ودفن الباقى سرا ! .

وكان رعب الأرنب قد بلغ مبلغا شديدا فانسحب منكمشا إلى أحد الأركان ، وعيناه مفتوحتان تراقبان الذئب والثعلب وأذنيه ترتعشان تتسمعان أقل همسة أو حركة . وأخذ يلوم نفسه لأنه سمع كلام ذلك الديك الأحمق وتلك الدجاجة المجنونة ، التى أسقطت سقف بيتها وظنت أن السماء هى التى سقطت . لقد سطعت الحقيقة كالشمس أمام عينيه وهو غارق فى دوامة الرعب . وتعجب لأن ذلك يحدث له دائما ، فلا يفكر تفكيرا سليما إلا بعد فوات الأوان . وتذكر زوجته العجوز التى نصحته ذات يوم وطلبت منه أن يصحبها للعيش عند شاطىء النهر بعيدا عن تلك الحظيره المليئة بالدجاج الثرثار والديوك المغرورين ، وياليته قبل ذلك وذهب معها .

وفجأة صحا الذئب للمرة الثالثة وصرخ يطلب الطعام ! ! . وهنا تساءل (تعاليبو) فى غضب مفتعل . .

ـ ألا تستطيع أن تصبر ؟

فزمجر (بولينياب) معترضاً : ـ

ـ ولماذا أصبر ؟ أنا أريد أن آكل ! فلماذا لا آكل ؟ ! .

فرد عليه (تعاليبو) يلومه لوما خفيفاً : ـ

ـ لأننا لسنا فى البيت يا (بولى) . إننا أسرى هذه الحفرة ، ولم يعد هناك طعام . نحن جميعا حيوانات وليس لأحدنا ميزة على غيره وليس هناك ما يعيب أحداً منا ولن نجد طعاما إلا إذا أراد أحدنا أن يضحى من أجل زميليه . يجب أن يموت أحدنا ليعيش الآخرين . فأينا سوف يفعل ؟ . .

إنكمش الأرنب ولم ينطق ! فقد كان يحس إحساساً خفيفاً بأن المناقشة ستسير فى غير صالحه .

قال الذئب : هيا نجرب حكاية الأسماء ؟ . .

فتعجب (تعالييو) لغباء هذا الذئب ! وقال رافضا هذه الفكرة السخيفة : ـ
ـ لا ! . طبعا . كلنا مقيدون فى كشوف رسمية ولنا أسماء جميلة موسيقية وشعرية . . هل نسيت ؟ . .
فأسرع الذئب يقول :
ـ إذن هيا نأكل الطائر ! .
ونفذ صبر (تعالييو) وقال : ـ
ـ يبدو أن (علقة) الحظيرة قد أثرت على تفكيرك ، ليس بيننا طيور يا (بولينياب) ! .
فغضب الذئب وزمجر .
ـ إذن ما العمل ؟ . . أنا جائع ، ولن أصبر بعد الآن . فليضح واحد منكما بنفسه ، ولا تنسى أنك أنت الذى قدتنا إلى هذه الحفرة اللعينة !
انكمش الأرنب أكثر فأكثر . فلم يكن يفهم لماذا يضحى بنفسه فى سبيل أعدائه وسكت وهو يظن أن (تعالييو) قد يجد له مخرجا ينقذه من هذا المأزق !
قال (تعالييو) محاولا أن يعطى لكلماته نبرة عادلة :
ـ سكوت ! ! سأفكر فى الأمر ، فالأمر يحتاج لحجة قانونية ترضى الجميع ، وتقنع المؤرخين أن أحدا منا لم يكن يريد أن يأكل الآخر ظلما . فاتركونى أفكر فى هدوء لكى أعثر على وسيلة عادلة يقبلها ثلاثتنا ـ وخاصة صديقنا الأرنب ! .
وبدأ يلف ويدور ويتكلم وكأنه يفكر فى صوت عال : ـ إننا لو أكلنا الذئب ، فما الذى سيستفيده صديقنا الأرنب العزيز إنه لا يأكل اللحم ، وهكذا ستكون تضحية الذئب نصف تضحية . وكذلك سيكون الحال لو أكلتمانى ، فالأرنب آكل حشائش ، ومن المؤكد أننى لست شجرة أو جزرة . ولم يبق سوى الاحتمال الثالث وأعتقد أنه الاحتمال الوحيد

القريب إلى المنطق والعدالة . الأرنب هو منقـذنا نحـن الاثنين ـ أليس كذلك ؟ ! . . وبدأ الأرنب يزوم ألما ويأسا .

ولكن تعاليبو ظل يتكلم قائلا : إن العدالة أحيانا قاسية ! ولكن لا مفر مـنْ تطْبيقهـا ، ولكن لابد من اقناع من سيضحى بنفسه أن لتضحيته فـائدة كاملة حتى تكون تضـحية عادلة ! .

ولم ينتظـر الذئب قيام أحـد بإقناع الأرنب فلم يكن يهمـه ذلك فى كثير أو قليل ولذلك انقض على الأرنب ، الذى جعله الرعب يقفز محـدثا ضـجة عظيمـة فى محـاولة أخيرة للتشبث بالحياة والاحتجاج على مصيره . بينما كان تعاليبو يجلس هادئا ينتظر نصيبه من التضحية ، ليلتهم جزءا منها وليخفى الباقى مثلما فعل من قبل ! .

وساد الهدوء داخل الحفرة تماما ممـا جعـل (تعلبان) ينتابه قلق عنيف على والده . ووجد نفسه لأول مرة فى حياته يخاف على (تعاليبو) خـوفا حقيقيا ، فـالذئب وإن كان غبيا فأنه قوى أيضا ـ ولم يعـد فى الحفـرة أحـد بلا اسـم وليس هناك طير ولا آكل حشائش ! ليس هناك سوى والده وجها لوجه مع الذئب الجائع الشرس ! !

وفجأة سمع (تعلبان) صوت مضغ وطقطقة وتكسر عظام . فأطل فى الحفرة وقد تملكه خوف رهيب على والده . ولكن الظلام كان شديدا فـارهف أذنيه قلقـا حتى تبين أنهـا طريقة والده فى المضغ فاطمأن قلبه قليلا ولكنه لم يهدأ ! .

وصحا (بولينياب) على صوت المضغ والقرقشة ـ فسأل (تعاليبو) فى جشع : ـ

ـ ماذا تأكل يا تعاليبو ؟ هل بقى لدينا طعام ؟ أم أننى أحلم ؟ . لا ، لا أنت تأكل شـيئا نعم بالتأكيد تأكل شيئا . ؟ . إننى جائع جدا .

فقال الثعلب بهدوء . .

ـ إننى آكل ذيلى يا صديقى . لأننى أكاد أموت جوعا والبرد شديد جـدا ومـا فـائدة

الذيل إذا لم ينقذ صاحبه فى ليلة كهذه ، سقطت فيها السماء واشتد البرد ؟
فضحك الذئب ساخرا . .
ـ ها . ها هل مازلت تصدق هذه الكذبة أيها الساذج . إن السماء لم تسقط أبدا أيها الغبى ، فأعطنى قطعة من ذيلك اللذيذ . . هيا
فاحتج تعاليبو وقال : إذن فالسماء لم تسقط ؟ ! وأنت تطلب قطعة من ذيلى ؟ !
قال بولينياب . . نعم ! . أهو لذيذ ؟ ! .
ورد تعاليبو فى غضب . .
ولماذا لا تأكل ذيلك ؟ مادمت قد خدعتنى وجعلتنى أصدق أن السماء قد سقطت فعلى كل واحد أن يأكل ذيله ! .
وتساءل بولينياب . .
ـ وهل هو لذيذ ؟ .
ـ لا بأس به . .
ـ أهو يؤلم ؟ .
ـ لا . . لا . . جرب بنفسك !
وقضم الذئب ذيله فصرخ من الألم .
ـ أنه يؤلم يا (تعاليبو) يؤلم جدا . . جدا . آه . لم أكن أعرف أن أسنانى قاسية لهذه الدرجة الشنيعة . مسكين الأرنب والله . . فما العمل ؟ . .
قال تعاليبو . .
ـ عليك أذن أن تلعب لعبة ـ هيا نأكل الذيل اللذيذ ـ فإنها تخفف الألم كثيرا ، ولقد علمتها لى ثعلبة ساحرة عجوز ! ! لكى تخفف ألم الذيول المأكولة ! .
وأخذ تعاليبو يشرح للذئب تلك اللعبة الطيبة التى ستخفف ألمه وجوعه . فابتدأ يوضح

له أن اللعبة تقتضى أن يدور هو حول الحفرة وأن على الذئب أن يدور خلفه تماما وأن يسرع كلما أسرع هو ـ ثم عليه أن يقف مستندا إلى الحائط عندما يصيح به . . بالضبط عند النقطة التى يسمع فيها الصيحة وأن يحاول الوقوف على ذيله وأن يمد جسمه إلى أعلى بقدر استطاعته

ثم قال له بجدية شديدة : ـ والآن ! لا تنس ـ عندما تسمع الصيحة عليك أن تقف حيث أنت بالطريقة التى وصفتها ويجب ألا تنسى أن تجعل ذيلك ممدودا جدا وجسمك مشدودا جدا . جدا . . » وابتدأ الثعلب اللعبة فأخذ يجرى (وبولينياب) يفعل مثله .

وانتبه (تعلبان) جيدا لما يجرى . وفهم ما يجب عليه عمله بالضبط ! .

ولما دار الاثنان دوره ، ثم أخرى . . صرخ تعاليبو عند نقطة معينة يبرز فى أعلاها نتوء صخرى وأسرع بولينياب يغمض عينيه ويقف مادا ذراعيه إلى أعلى بقدر استطاعته وهو منفعل لاهث فى نفس الوقت الذى قفز فيه تعاليبو فوق كتفيه ، ومد يده ليمسك بكف تعلبان الصغيرة التى امتدت تصافحة وتهنئة بنجاته وهى تشده إلى الخارج ! !

تم كل شىء فى لحظات ، وعندما فتح الذئب بعدها عينيه ليجد نفسه وحيدا ، زمجر غاضبا مهددا متوعدا خاصة عندما جاءه صوت تعاليبو الهادىء من خارج الحفرة قائلا :

ـ لا تغضب يا صديقى ! فأنا لم أخدعك ، ولم أوهمك بسقوط السماء . ويجب عليك أن تشكرنى على الأقل لأننى علمتك طريقة تستطيع أن تأكل بها ذنبك بدون ألم ! !

وضحك (تعلبان) وهو يحتضن رقبة والده الحبيب ـ فى اعتزاز ! !

فقال له تعاليبو وهو يناوله ما بقى من نصيبه فى الوليمة !

ـ لابد أن أمك غاضبة الآن لأننى لم أقض ليلتى فى البيت ! ولابد أن (تعيلب) غاضب هو الآخر ، فقد كان يريد أن يلهو وأن يلعب

فرد (تعلبان) وهو يحاول تقليد طريقة والده فى الكلام والمشى : .

ـ يكفى أننا قضينا ليلة (ثعلبية) هـائلة ؟ . . فـلا تهتم . إن أحـدا لن يغضـب . . وبالنسبة لـ (تعيلب) فلابد أنه نائم يحلم بكل أسماك البحار البعيدة ـ أما أمى فإنهـا سوف تضحك كثيرا عندما أخبرها كيف علمت الذئب لعبة أكل (الأذناب) ! . !

وأسرع الاثنان إلى البيت وهما يضحكان ! !

○

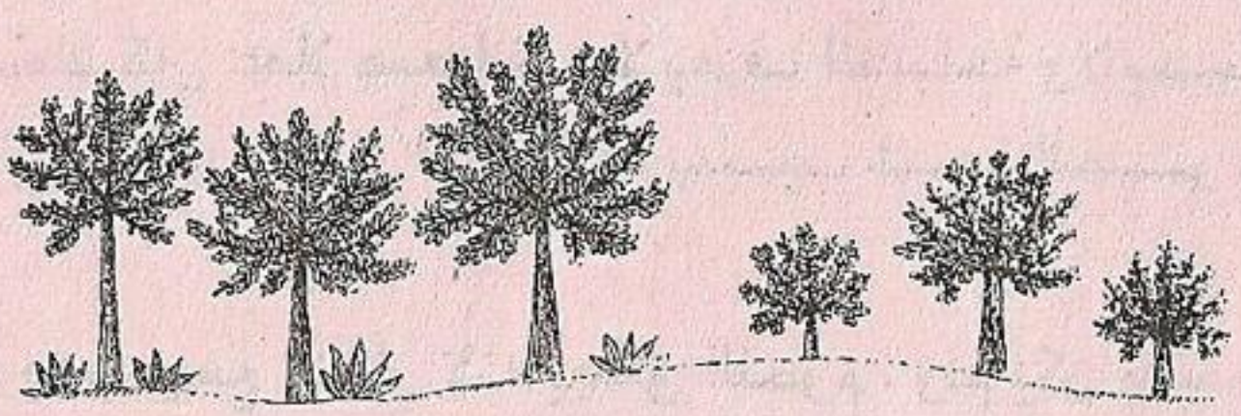

٣ ـ منبحة الكتاكيت

لم يكن تعاليبو يشتغل ليحصل على طعـامة ، فقـد كان ثعلبا وكان لا يحـب العمـل . فصناعة الفخار سوف تجعله يشتغل فى الطين طول الوقت وهو يحـب أن يكون نظيفـا جميلا . وصيد السمك كان عملا صعبا فهو لا يعرف السباحة ولا يحـب النزول إلى الماء والمرات القليلة التى نزل فيها الى الماء كانت بسـبب شـدة الحـر أو للتخلص مـن البراغيث ! !

ولم يكن تعاليبو يحب جمع الثمار لأنه يعشق اللحوم ، ولم يكن يصنع العسل لأنه ليس نحله . ولانه ليس نملة فقد كان يأكل كل ما يحصل عليه من طعام ـ ولم يعـرف أبدا أن هناك طريقة أخرى للتعامل مع الطعام سـوى أن يأكله . وكان يتعجـب لأن هناك مـن يحتفظ بجزء ولو صغير من طعامة ! وان كان يحس فى أحيان كثيرة بضرورة أن يفعـل

ذلك ، خاصة بعد أن أنجب صغيرين لهما معدتين لا تحتملان ظروفا صعبة كالتى يمر بها هو منذ نفذ السمك وبلغة تهديد (بولينياب) الذى ظل بالحفرة ليلتين كاملتين عقب تلك الليلة التى سقطت فيها السماء ، حتى أخرجه الدب بالصدفة . لقد أقسم (بولينياب) قسما عظيما مقدسا أن يجبره على مضغ ذنبه أمام كل حيوانات الغابة والاحراش ! !

وقد كان على (تعالييو) أن يأخذ تهديد (بولينياب) مأخذ الجد بعد كل ما حدث منه . ولذلك فقد اكتفى بالبحث عن طعامة فى المناطق البعيدة عن الغابة الى أن تهدأ الأحوال وتتضح المواقف خاصة وأن (بولينياب) التحق بخدمة الامبراطور الجديد وذهب ليعيش فى بلاطه الأمبراطورى وأصبح له نفوذا لا يجب تجاهله .

ولذلك عندما سمع (تعالييو) صوت الديك ـ رقص قلبه من الفرح وقال « لقد أكلنا وشبعنا ! » وانطلق يجرى ناحية الصوت . وكان الديك يصيح وهو واقف فوق شجرة عالية فاقترب منه وقال بلسان فصيح :

ـ يا صاحب الصوت الحنون العذب انزل لتسمعنى ! لقد جئت اليك ببشرى عظيمة وسارة انزل تعالى إلى فاليوم عيد !

وطبعا خاف الديك ، ونظر الى الثعلب فى شك وريبة وكف عن الصياح على الفور وصعد إلى غصن أكثر إرتفاعا . .

قال الثعلب :

ـ لا تخف يا صديقى ! لقد ولى زمان الغدر وحل عصر السلام والأمان ألم يصلك الخبر ، ؟ ألم تعرف ماذا تم فى الأمر ؟ . .

سأل الديك فى شك :

ـ أى أمر ؟ . .

فضحك الثعلب وتظاهر بالاسف قائلا :

ـ قلت لك ألف مرة من قبل تعال وعش معنا فى الغابة ، فهذه الحقول ليست مكانا للطيور الطيبة ، ولا للديكة الأخيار فأنتم هنا لا تعرفون الأخبار ولا تصل اليكم جرائد الغابة ولا كتب المطابع ، عمركم هنا ضائع يا صديقى ضائع .

رد الديك وهو لا يفهم تماما ـ ماذا يريد الثعلب بالضبط .

ـ أنا شخصيا هنا فى أمان ؟ ! . .

فصاح الثعلب : كيف يا أخى ؟ . أنظر بنفسك ، أنك لا تعرف الأخبار الجديدة السعيدة إنك لا تعرف ماذا جرى للدنيا وتظن أنك فى أمان لأنك فوق الشجرة . . مع أن الامان أصبح فى كل مكان كان على الأرض ! .

فسأل الديك وهو يتعجب :

ـ وأنت كيف يكون الأمان معك ؟ . .

ـ معى أنا ؟ ! . . أنا أصبحت صديقك ! فأمان يا ديك الزمان . لقد صدرت أوامر امبراطورنا العزيز ، أطال الله لبدته ، وأعلى زئيره وزاد من هيبته ، لقد اصدر أوامره الملكية لكل الحيوانات : أن تعيش معا فى « تبات ونبات » . . كالاخوات وأكثر ! . فلا الذئب يستطيع بعد اليوم التهام الخروف ، ولا الثعلب يجرؤ على أن يؤذى ـ كتكوتا ! دون أذن الاسد العظيم أبو لبدة المدهش ! ! .

قال الديك : دون أذن ؟ ! . . واذا حصل على الأذن ؟ . .

فطمأنه الثعلب : لا تخف ! . فالحصول على الأذن أصبح صعبا جدا جدا الأمر لم يعد فوضى كالأيام الماضية إن الثعلب الذى يريد أن يلعب بريشة دجاجة ، أن يلعب فقط :

عليه أن يقدم طلبا الى الملك شخصيا وسوف يحولة الملك إلى لجنة الافتراس العليا لدراسته ، وستمر أيام طويلة حتى يأذن الملك بذلك وأنت تعرف أى غباء ستكون عليه اللجنة ما دام رئيسها هو (بولينياب) لانه غبى وسيعطل كل شىء طبعا .

فقال الديك ساخرا :

ـ ولكنه سيأذن والسلام . . .

فتجاهل تعاليبو سخرية الديك وقال :

ـ المهم أنه سيمر وقت طويل جدا ننعم فيه بالسلام معا ! وبالكلام معا تحكى لى وأحكى لك . ويصادق بعضنا البعض وأقسم لك أننى مررت فى طريقى اليك :

بحمار يرقص مع ضبع . .
وزراف يضحك من سبع . .
وخراف تشرب من نبع . .
يحرسها نمر وذئاب . .
فانزل ياديكى لا تخشى . .
شبعان أنا لن أتعشى . .
أنزل كى نرقص نتمشى . .
فى السهل كخير الاصحاب ! !

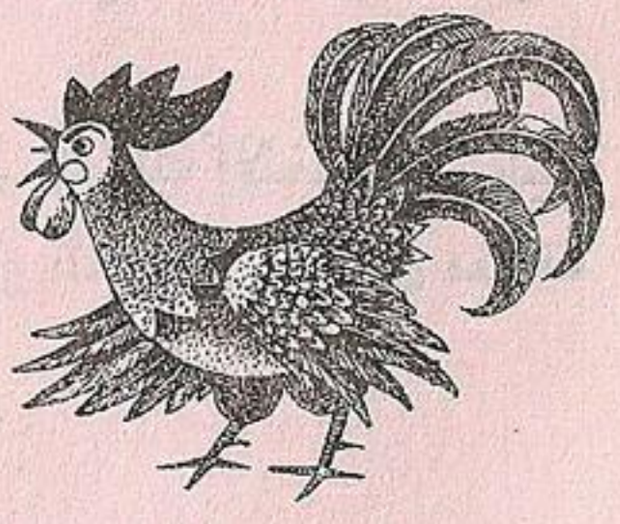

وأخذ الديك يفكر . . .

لقد كان الثعلب يغنى بصوت عذب يتنافى مع أى كذب ويرقص حول الشجرة بطريقة جذابة لا توحى بأى خداع . ولكن بعض الشك كان ما يزال بقلبه بالنسبة لهذا الثعلب الذى قتل المئات من أهله وعشيرته ، حتى جاءته فكرة ليختبر صدق كلامه فقال :

ـ غناؤك جميل ، ورقصك أجمل ! وسأنزل حالا إليك فاننى أحس أن الحيوانات

والطيور خلقت اليوم من جديد . وانا متأكد أنه منذ اليوم سيبدأ العهد السعيد الذى سيعيش فيه سكان الحقول والغابات أفضل من الأخوات . نعم سأنزل حالا وخاصة لأننى أرى بعض أصدقائى قادمين ليشاركوننا فرحتنا بالسلام وأظن أنه سيكون جميلا أن تنهى ما بينك وبينهم من خصام وأن تبدأ معهم عصر الوئام .

فسأل الثعلب وقد بدأ الشك يساوره . . .

ـ ومن هؤلاء الاصدقاء يا أعز الأصدقاء . . .

فرد الديك دون اهتمام . .

ـ كلبان فقط ! لكن أحدهما هو ذلك الكلب الأسود حارس الأغنام ! . سابقا طبعا ! ! لأن الأغنام فى العصر الجديد لن تحتاج حراسا

وارتجف قلب الثعلب وسقط فى قدميه فقد كان يعرف قسوة أسنان ذلك الكلب معرفة جيدة . . فقال متظاهر بالهدوء :

ـ أخشى يا صديقى أننى لن أنتظر حضورهما فأنا جئت فقط لا بلغك الأخبار ، وعليك أن تبلغهم أنت فإنهم يثقون بك أما أنا فلا وقت لدى لأن على أن أنشر الأخبار فى منطقة واسعة جدا ! !

وضحك الديك قائلا :

ـ أنتظر يا صديقى فما أجمل أن تبلغهم بنفسك الأخبار السعيدة ! ! .

وهنا خيل للثعلب أنه سمع نباحا يأتى من بعيد فانطلق كالسهم هاربا وهو يصيح ! .

ـ لا تظن أننى أخافهم ! . لم يعد للخوف مكان هنا بعد الان ولكننى أفضل أن أعود ومعى خطاب رسمى من الملك فقد لا تصدقنى الكلاب ، فأنت تعرفهم ، أنهم لا يصدقون الثعالب ! !

ولم يتوقف الثعلب عن الجرى الا عندما كفت أذنيه عن التقاط صوت النباح واطمأن

انه فى أمان . فجلس حزينا لضياع ذلك الديك الشهى من بين يديه . . وقال لنفسه . . .

ـ آه من تلك الكلاب اللعينة ، ما فائدتها ؟ . ولماذا خلقت ؟ ! . . .

لماذا لم تتأخر دقيقة واحدة ؟ . لقد كنت على وشك إقناع الديك بصدق نواياى ، وطيبة قلبى ، وأننى أصبحت أعز صديق له ؟ ! . .

ولم يكن (تعاليبو) بسبب ابتعادة عن الغابه يعرف أن الامبراطور الجديد (ابو لبدة المدهش) قد أصدر أوامرة فعلا ، بأن تصبح الحيوانات جميعا أخوة ! !

وأنه قد قرر الا يلتهم القوى الضعيف ، أو يأكل الكبير الصغير ، الا بإذنه شخصيا ، وفى حدود قانون الأفتراس والانتخاب الطبيعى ولم يكن يدرى ان استعراضا كبيرا كان يجرى فى نفس تلك اللحظة أمام عرين الاسد لتأكيد الصداقة والأخوة بين جميع الحيوانات وقد سارت الخراف جنبا إلى جنب مع الذئاب بل وحمل فيه نمر منقط أرنبا رماديا ! ! .

وسمح فيه النمر المخطط لغزالة أن تعبث بشاربه ! ! .

لم يكن الثعلب يدرى أن ما فكر فيه كطريقة لخداع الديك قد أصبح حقيقة ! ! ولم يكن من الممكن أن يصدق وهو الماكر الغادر أن هذا الأمر العجيب الغريب يمكن أن يحدث لولا انه سمع مناديا يصيح :

يا أهل الغابة والأدغال . .
اليوم تغيرت الاحوال . .
النمر يلاعب أرنبة . .
والفرخة تركب ثعلبة . .
والفيلة يركبها الأطفال . .
الأسد المدهش قد أصدر
أمرا لجميع رعيته . .
لا يزعق نمر أو يزأر . .
أسد فى وجه ضحيته . .
والأصغر لا يخشى الأكبر . .
فالكل بمنزل اخوته . .

وهاص الثعلب . . وزاط ! ! !
وأخذ يحدث نفسة قائلا :
أن هذا غريب ! . ولا يمكن أن يحدث ، ولكنة حدث . إن هذا مستحيل لا يصدق ! وها هو القرد المنادى يقوله بلسانه ويعلنه بأعلى صوته ـ والقرد هو رسول الملك الرسمى ـ يحمل طبل العرين الذهبى ويدق عليه ! إذن لابد أن هذا صحيح وهو صحيح جدا ! !
« ابشر يا تعاليبو ـ فقد حصلت على الديك بل وأهل بيته جميعا من كتاكيت لذيذة »
« فلن تجد خيرا من كلام الملك ، ولا أصدق من رسول الملك وهكذا سيصدقك الديك الان . . . »
« لأنه سيسمع رسول الاسد باذنيه ، ويراه بعينيه . . . فهيا يا تعاليبو الى العمل ! ! »
« فقانون الأسد الجديد للصداقة بين الحيوانات قد فتح أمامك أبواب الأمل . هيا ! »

ولم يضيع تعاليبو وقته : بل أسرع وارتدى حلته الرسمية التى يذهب بها إلى العرين فى الأعياد ، وحمل كتابا ضخما مكتوبا بلغة غريبة لا تعرفها الحيوانات أو الطيور . ومضى إلى الديك بعد تأكده أن رسول الملك قد مر به وأن الخبر قد سرى فى المنطقة كلها ـ واحدث الاثر المطلوب ! . .
ولما وصل كان الديك وزوجاته وكتاكيته السبعون يرقصون فرحين حول الشجرة ، ترحيبا بالانباء السعيدة الجديدة وأطمأن الثعلب على أنه لا كلاب هناك فدخل إلى حلبة الرقص وهنا هتف الجميع له فرحا وترحيبا بأول صديق يزورهم فى ظل القوانين الجديدة . . اقترب تعاليبو من الديك وهمس فى اذنه :
ـ هل صدقت الآن ؟ لقد كنت تشك فى اخلاصى ! !

وقبلة الديك معتذرا له بشدة . .

وهنا توقف تعالييو عن الرقص وقال فى صوت وقور مهيب بعد أن رفع الكتاب الضخم العجيب فوق رأسة فى تقديس :

ـ لا تضيعوا الوقت ! . لقد ظلمتم كثيرا وأنا أعترف أن جنس الثعالب بالذات التهم منكم الكثيرين ! . لدرجة أن جسدى يرتعش عندما أذكر ذلك . ولقد وجد (تعاليبو) ان واجب التكفير عن جرائم بنى جنسه يحتم عليه أن يتفرغ ليشرح لكم قوانين الصداقة الجديدة ـ وموادها المختلفة ! . تكفيرا عن ذنوب جنس الثعالب كله » ثم أخذ يتشمم الهواء ويتسمع حتى لا يفاجئة أحد أو يعكر عليه الجو دخيل وقال :

ـ لقد جهزت مكانا جميلا ليكون مدرسة تليق بكم أنتم بالذات ، هناك عند الغدير حيث الماء والطعام الوفير ـ فهيا بنا فورا لنبدأ دروسنا القانونية حتى لا يخدعكم أحد بعد الان ! ! هيا ـ لا تضيعوا الوقت فقد بدأ زمان الحرية للديكة والفراخ . . ثم هتف الثعلب فى صوت خفيض حتى لا يسمعه أحد غيرهم :

ـ المستقبل للكتاكيت ! !

وردد الجميع الهتاف وراءه ، ولم يضيع هو الوقت طبعا ، فمضى يتبعه الديك على رأس قبيلته الصغيرة إلى حيث المدرسة المزعومة ـ وهم يغنون :

تعاليبو هيا وتقدم
قانون الحب سيتكلم . .
الغاب سيغمرة الحب
والدنيا منا تتعلم .

وطبعا ! ! لم تكن هناك مدرسة ـ وإنما كانت هناك أسرة تعاليبو الجائعة تقف فى استقبال القافلة المسكينة . .

وحدث ما كان لابد أن يحدث لقبيلة من الدجاج والكتاكيت تحاصرها أسرة من الثعالب ، رغم قوانين الأسد ابو لبدة المدهش ـ الجديدة . .

ولم يفلت من المجزرة سوى الديك ، الذى انطلق منتوف الريش ممزق الرقبة إلى حيث كان استعراض الصداقة ما يزال يجرى أمام العرين فصاح فيهم وهو يلقى بنفسه وسطهم زاعقا بالخبر الرهيب فى وجه الجميع :

ـ لقد ارتكب تعاليبو جريمة بشعة ليس فى حق الكتاكيت الابرياء ! ! ولا فى حق القانون الجديد العظيم ! ! ولكنها جريمة ضد (الاسد الامبراطور ابو لبدة المدهش) شخصيا ـ وتحديا صارخا لأوامره المقدسة فى نفس يوم الاحتفال بها ! !

○

فماذا سيفعل الاسد الامبراطور ؟ ! . .

٤ ـ ثورة أبو لبدة

حتى قبل ولايته للعرش كان أبو لبدة ، يفكر فى أحـوال رعيته البائسـة ومنذ نعـومة أظافره أظهر عبقرية فذة فى التفرقة بين العسل الأبيض والأسود وكان فى شبابه يظهـر حزنا شديدا لأن شعب الغابة والاحراش المجاورة لا يعيش فى سلام . . وبالرغم مـن أنه كان مؤمنا على الدوام أن القوة هى التى يجب أن تكون القـانون الوحيد (وأن البقـاء للاقوى) هى أهم مواد دستور الغابة المقدس إلا أنه أظهر باستمرار تعاطفا مـع الاراء التى تدعو لتنظيم الافتراس العام وانحاز إلى كثير من الافكار التى تدعو لاعادة صياغة قوانين الغابة بما يكفل مزيدا من العدالة (فى التطبيق !) . ولم يكن (أبو لبدة) مـن ذلك النوع الذى تعجبه الحـرية الزائدة عن الحـد والتى أعطيت للاقـوياء لكى يفترسـوا

الضعفاء بدون اسباب تقريبا ! . . أو التى تكفل للكبار حرية سرقة والتهام الصغار دون أذن رسمى منة ـ (على الأقل ! !)

ولذلك فانه عندما تولى عرش الغابة ، قرر أن يضع أفكارة موضوع التنفيذ ، واستدعى على عجل عددا من زملاء دراسته القدامى ليساعدوه فى التطبيق . وكان منهم عدد من المشود لهم رسميا بالكفاءة ـ مثل الذئب (بولينياب) الذى تولى رئاسة هيئة تنظيم الافتراس العام ! . والدب (لبلب دبدوبة) الذى أصبح رئيسا للعرين الامبراطورى ! . والقط (بولشناب) وغيرهم كثيرون وكثيرون . !

وبعد تفكير وتدبير وزمجرة وزئير ، قرر الاسد (أبو لبدة المدهش) الدعوه إلى اجتماع عام لكل الحيونات ليعلن فيه بداية عصر جديد فى حياة الغابة وليضع نهاية لكل الحوادث المؤسفة وجرائم القتل العمد التى كانت ترتكب صباحا ومساء ـ دون علم أحد ـ والتى كانت تجرى فى كل مكان بحجة الحصول على الطعام ، (من وراء ظهره !) أو من (خلف ذيله) على حد تعبيره ! ! .

وانطلق الرسل (القرود) إلى جهات الغابة الاربع . . وظلوا يدقون الطبول ويعلنون الدعوة إلى ذلك الاجتماع المشهود فى كل ناحية . وعلى الساحل وخلف جبال النرجس وفيما بين النهر والقرية مضى المبشرون يبشرون كل ذوى الاربع بسلام جديد فى حدود قانون الافتراس العام المنصوص عليه فى كتاب الادغال ـ الذى تفرضة الطبيعة الحيوانية وحقيقة أن البقاء للاصلح . وكانت البشرى مصحوبه بدعوة كل رؤساء العشائر والقبائل الحيوانية والطيور ، لحضور الاجتماع الكبير فى العرين الملكى ، لدراسة الامر من مختلف الوجوه ! . .

○

وفى اليوم الموعود . . وصل الجميع من أنحاء الامبراطـوريه . الطيور التى تطير والتى لا تسـتطيع الطيران . والوحـوش والحيوانات مـن كل الانواع والاشـكال والالوان ، الكبيره والصغيره ، ومتوسطة الاحجام . آكلة العشب وآكلة اللحم ، وجـامعة الثمـار . ذات الظلف وصاحبة المخالب والأنياب . قصيرة الذيول وطويلة الاذناب . طـويلة الاذان والتى لا تسمع على الاطلاق . المدرعة وذات الشوك . الملساء والشعراء وذات الاصداف والحرافيش . ذات الدم البارد وصاحبة الدم الحار . كلهـم جـاء واله مـن كل صـوب ليؤكدوا ولاءهم واحترامهم الشديد للامبراطور القوى الجديد وليشـكروا مـن أعمـاق قلوبهم عدله ورحمته ! !

وبينما كان رؤسـاء العشـائر والقبائل ذوى المكانه فى طـريقهم إلى الاجتمـاع الذى سيلقى فيه الامبراطور الخطاب الافتتاحى للمؤتمر ، سرت همسات سريعه حذره ، تقول أن أحد رؤساء العشائر الهامة ، غير موجود . وأكد أحدهم « إنه لن يحضر » ـ وأضاف فى خبث « ذلك لانه يعارض أوامر السلام الامبراطوريه الجديده ويراها خـدعه مـاكره للتدخل فى حق عشيرته الازلى فى التهام ما تشاء من دواجن » !

ويبدو أن الامر كان صحيحا ، لان مندوبى الغابات الأخرى لاحظوا أن الغضـب كان واضحا لكل ذى عينين على وجه الملك ، وفى صوته . وفسر البعض ذلك بأن الغائب يعتبر من أنكى حيوانات الغابه وأكثرها مكرا ، ولأن على اكتاف اجـداده التعـالب القـدماء قامت هذه الامبراطوريه ولذلك فإن تمـرده سـيكون ذا أثر بالغ السـوء فى بداية عهـد الامبراطور العظيم ، ذلك لأنه ـ الغائب ـ كان تعاليبو شـخصيا ، رئيس عشـيره ذوى الذيول المنفوشة ، وأكثر الذين يعمل لهم الأسد الجـديد الف حسـاب ، ويتمنى أن يكون أحد رجال بلاطه ، ليستفيد من عبقريته وذكائه فى إحكام أحكام القانون الجديد ! .

وحاول أحد الشعراء على عادته أن ينتهز الفرصة ليتقرب من الامبراطـور ، فـارتجل

شعرا يذم به ذلك المتمرد الاحمق ، ولكن الاسد قاطعه بزمجرة رهيبة جعلته يختفى تحت جلده نادما على تهوره الأخرق !

وظهر واضحا أن الملك لا يريد أن يبدأ الحفل دون حضور (تعـاليبو) ، أو على الاقـل قبل التأكد من أسباب رفضـة الحضـور . ولكن الاكثر وضـوحا كان عدم حضـور (تعاليبو) رغم مرور الوقت . وقال البعض (لابد أن تعاليبو فعـل شـيئا يخجـل منه ، يمنعة من الحضور)

ولكن البعض سخر من هذا الرأى (فتعاليبو) لايخجل من أعمـالة ابدا . ووجـدها « بولينياب » فرصة للانتقام فأخذ يهمس فى اذن الملك :

لابد يا مولاى أن (تعاليبو) يدبر مؤامرة لتغيير دسـتور الغـابة الذى ينص على أن يتولى الاسد عرشها . وشهد حيوان صـغير أتى به بولينياب ويبدو مثل جـرذ مـن نوع غريب أن (تعاليبو) قال أمامه أن الثعالب هى أذكى حيوانات الغابة ! .

وأضاف الدب أن تعاليبو سأله مرة : « لماذا لا يصبح من حق أى حيوان يسـتطيع أن يثبت كفاءته أن يصبح ملكا ؟ » . . وزمجر الاسـد غاضـبا ، فـكل الذين يهمسـون إليه حيوانات لها مكانتها حتى الجـرذ كان مـوظفا فى المخـازن الملكية ! ولذلك كان عليه أن يصدقهم وأن يصدق أن (تعاليبو) يدبر شيئا خطيرا ضده !

بعد ذلك وبعد أن تأكد الجميع أن الملك قد تأكدت لديه خيانة تعـاليبو تطـوع العشرات منهم للبحث عن أشياء يعـرفونها أو كلمـات سـمعوها لكى يقـدموها دليلا على خيانه الثعلب ، وليتقربوا بها إلى الامبراطور وليثبتوا اخلاصهم للعرش ! ! .

وكان الذئب « بولينياب » هو أول من تقدم باتهامه علانية إذ توسط السـاحة حـاملا عددا من الاوراق الرسميه قال انها وصف كامل لمائة من الحوادث البشعة التى ارتكبها

(تعالييو) منذ تولى (الأسد المدهش) عرش الغابه . ووقف يطـالب فى صـوت عميق ـ حاول أن يكون مؤثرا جدا ـ بالعدالة لكل المظلومين والتعساء الذين فـرضت الظـروف عليهم ان يكونوا خاضعين لحكم (تعالييو) !

ثم استدار نحو جموع الحيوانات ووعد كل من يتقدم بالشهادة ضد تعـالييو بجـائزة كبيره ! .

وهنا أندفع عدد كبير من صغار الحيوانات يقدمون الشكاوى ضد (تعالييو) .

قالت الماعز الجبليه :

ـ كنت أسير ذات يوم يا مولاى متعبة أبحث عن طعام لاولادى الصغار عندما مـررت بجوار أحد الابار . فسمعت صوتا ينادى فى استعطاف ـ انقذونى ـ يا أهل الرحمـة ! . ولما كان قلبى رحيما يا مولاى فقد تقدمت من البئر . وهناك شاهدت (تعالييو) . يجلس فى الدلو داخل البئر لايستطيع الخروج ـ فسألته : كيف انقذك يا تعالييو ؟

فقال لى : « اركبى الدلو الآخر أيتها الماعز الطيبة » . ولأننى طيبة القلب يامولاى ، ركبت الدلو الاخر . فوجدت نفسى فى قلب البئر بينمـا إرتفـع الدلو الذى كان به تعـالييو إلى السطح ! . فصرخت فيه : « لاتتركنى هنا ياتعالييو ! انقـذنى مثلمـا انقـذتك . . » ولكنه ضحك يامولاى ومضى وتركنى فى البئر وحيدة أكاد اموت من البرد والخوف

وضحكت بعض الحيوانات فى الصفوف الخلفية وقالت ارنبة عجوز أفقـدها تعـالييو زوجها الأحمق :

ـ تستحقين ما جرى لك ايتها الماعز الطيبة الغبية . إنك مثل زوجـى الأبله الذى دفـع

حياته ثمن تصديقه أن الشعر الذى يغطى جسمه كاف ليكتسب به صداقة الثعالب والذئاب . .

○

وبعد ذلك تقدم ذئب عجوز يتوكأ على عصاه ـ وقال :

ـ يامولاى الأسد العظيم : إننى أطلب منكم الانتقام من ذلك الماكر الغادر (تعالييو) ، لقد خدعنى يامولاى خدعة دنيئة ، كسرت بسببها قدماى يامولاى ! !

فصاح الأسد به نافذ الصبر : احك ولكن أوجز ! .

فبلع الذئب العجوز لعابه وقال :

ـ كنا فى الشتاء يامولاى وانت تعرف ما يصنعه الشتاء بالنسبة لنا سكان الغابات الشمالية . إنه فصل بارد موحش جدا ، بلا طعام وشراب ! . وذات يوم رأيت (تعالييو) ينام على الطريق كالميت . فاقتربت منه مشفقا أسأله عما به فنهرنى وقال لى : ـ ابتعد من هنا ولا تفسد خطتى فاننى أرى فلاحا قادما من بعيد وسأتماوت حتى يحملنى فى عربته لعلنى أجد شيئا آكله . » . وبالفعل يامولاى حدث ما توقعه لقد ظل نائما على الطريق واقتربت من بعيد عربة ريفية يقودها فلاح ضخم ، فاختبأت أنا ولم أتدخل حتى لا أفسد عليه خطته . وفعلا حملة الرجل إلى عربته يامولاى ويالحظه ! ! كانت مليئة بالسمك الطازج الشهى . ورأيته أنا من بعيد وهو يلتهم كفايته منه دون أن يفكر فى القاء سمكة واحدة لعجوز مثلى . ولما أنتهى من طعامه قفز واختفى .

وجريت أنا عبر الغابة ، أقطع الطريق على الفلاح والعربة . وكاد صدرى ينشق من كثرة ما جريت ، حتى سبقت العربة فارتميت أمامها كالميت ، مثلما فعل تعالييو بالضبط واخذت أعد الثوانى منتظرا أن يحملنى الفلاح إلى العربة ولكن الذى حدث لى كان مختلفا فلم أشعر إلا وعصا الرجل الغليظة تصكنى فى قوة وأخذتنى المفاجأة حتى إننى

فقدت الوعى وعجزت عن الهرب . . أرأيت يامولاى خداع ذلك الماكر الجبان ؟ !
فقال الاسد غاضبا . .
ـ وماذنب تعاليبو ؟ . أنت الذى ألقيت بنفسك أمام الرجل ، بلا سبب ! .
فرد الذئب العجوز فى غباء . .
ـ ولكن تعاليبو فعل ذلك . وجعلنى أفعل مثله . الرجل حمله إلى عربته فلماذا ضربنى أنا ؟ ! إلا إذا كان متفقا معه .
فقال الاسد نافذ الصبر : .
ـ أى أرنب غبى هنا يعرف أن الرجل أخذ تعاليبو لينتفع بجلده وفروته أما أنت فلماذا سيأخذك ؟ . . لتخيف أطفاله أم لتحرس كتاكيت زوجته ؟
فضحك الذئب فى بلاهة وقال :
ـ ولكن تعاليبو لم يذهب معه يامولاى فلقد عدت بعد قليل أجر جسدى المكسور . فرأيت تعاليبو يجلس وأمامه كومة من السمك . يبدو أنه سرقها من العربة . ولكننى لما سألته عنها كذب على وقال أنه اصطادها بذيله .
وهناك انفجر الجميع ضاحكين ساخرين فاسكتهم الاسد والتفت اليهم الذئب العجوز قائلا : ـ
ـ الا تصدقون ذلك ، لقد اقسم لى أنه اصطادها بذيله . ودلنى على مكان بعيد . واحضر لى قليلا من الاغصان لاجلس فوقها وأدلى ذيلى فى حفرة حفرها لى فى الثلج ، وقال لى أن أبقى حتى الصباح وسوف اجد السمك متعلقا بذيلى ! . .
وضحك الأسد نفسه هذه المره حتى كاد أن ينسى غضبه حين قال الذئب وهو يبكى فى غيظ : ـ
ـ ولكننى لم أجد فى الصباح أى سمكة يامولاى وحاولت أن اخلص ذيلى من الحفرة دون

جدوى . لقد تجمد الماء حول ذيلى وأمسكنى بقوة ، حتى كدت أمـوت مـن البرد دون أن أحصل على سمكة واحدة يامولاى ! ! . .

ووسط ضحكات الجميع التى انفجرت عالية صاخبة ، انسحب الذئب العجوز مستندا إلى ذراع ابن عمه « بولينياب » وهو يصيح حانقا : ـ « ولا سمكة واحدة يامـولاى ، ولا سمكة . . ! »

○

وكاد الأمر أن يفلت من يد (بولينياب) فدفع بعدد كبير من رجاله يقدمون شـهاداتهم ضد (تعاليبو) ولكن الاسد كان يرى فى كل ما يحكونه مـا يؤكد له أن غياب (تعـاليبو) عن عرينه خسارة لا تعوض . وتشاغل الاسد بأظافرة ولبدته فى الوقـت الذى تقـدم فيه كثير من السياس والحراس ورجال السياسة يدلون بشهاداتهم ضد تعـاليبو . فتحـدث الكلب الرومى حتى منتصف النهـار وتكلم الارنب (بولودان) حتى العصر . ووصـلت الضجة والصخب أقصى ما يمكن عندما وقف السيد (حمار كار) الشـهير بالقـانونجى يقدم الأدلة والبراهين مدعمة بنصوص حقيقية ووهمية من القانون تؤكد وجهة نظـره ، والحق أن احدا من الحاضرين لم يفهم وجهه نظر السيد (حمار كار) أبدا رغم السجع الجميل الذى يزين كلامه ولم يفهموا أيضا إلى أى جانب هو منحاز لدرجـة أن الاسـد الذى كان فى واد آخر ، ثار لأنه ظن أن الحمار يدافـع عن حـق (تعـاليبو) فى التمـرد والثورة على الامبراطور . .

وهمس احد الظرفاء إلى جاره يقول :

ـ أن هذا الحمار هو أقل بنى عشيرته كفاءة ولذلك اختاروه لدراسة قـانون الغـاب ، وليدافع عنهم . وهذا هو سـبب الظلم الدائم الواقـع على جنس الحمير تحـت سـمع القانون وبصره ! !

ولما جاء دور الدفاع : دهش الجميع لان هناك من يفكر فى الدفاع عن (تعالييبو) بعد كل هذا ، وبدأ القلق يساور كل الذين اساءوا لتعالييبو ولكنهم اطمأنوا عندما ما علموا أن الذى سيدافع عنه ليس سوى قريبة « ابن آوى » . فقال بعضهم : ـ « من سيشهد للقرد غير النسناس ! . »

وتقدم ابن آوى فى هدوء ، فأخذ يكذب كل من تكلموا قبله بسهولة عجيبة جعلتهم جميعا يندمون ، خاصة لأن علامات الرضا كانت بادية على وجه الاسد الامبراطور طوال حديث (ابن آوى) . .

وكان هذا على عكس ما يرغب فيه (بولينياب) الذى كان يسعى لاستصدار حكم امبراطورى باباحة دم (تعالييبو) على الفور فاحس بيأس شديد ، وكاد يعترف بفشله مؤجلا إنتقامه لفرصة أخرى ، لولا أن جاءه الفرج من حيث لا يتوقع ، ففى الوقت الذى كاد فيه (ابن آوى) أن يحصل على تصفيق الملك نفسه إعجابا بحسن دفاعة ، وتأييدا له ـ اندفع إلى الساحة ـ « ديك النهار » ذلك الديك الذى التهم (تعالييبو) أسرته المسكينة منذ ساعات قليله . ولم يكن من الممكن أن يسمح له بالدخول إلى القاعة هكذا دون تصريح رسمى ، لولا أن أحد مساعدى (بولينياب) أدرك منذ رآه قادما من بعيد منتوف الريش ، منكوش الذيل ، يسيل الدم من صدره ورقبته ـ أنه سيكون سببا فى أصدار الحكم بادانه (تعالييبو) ، خاصة ودم الضحايا لم يجف بعد . فسمح له بالدخول على الفور إلى القاعة . وأحدث دخول الديك الأثر المطلوب فعندما رآه الحاضرون كتموا أنفاسهم ،فقد كانت هيئته المنتهكة محزنة لدرجة تجعل الحجر إما أن يذرف الدمع أو يسكت . ولهذا ساد صمت عميق حتى لقد سمع الجميع حكة أظافر الأسد وارتعاشة أذن الحمار والتواء ذيل الفار الطباخ . وبعد فترة من الترقب والتوتر تكلم (ديك النهار) فى صوت رهيب حزين باك قائلا : ـ

« إننى اشهدكم جميعا يا أهلى وعشيرتى ، على ما فعله ذلك الخـائن (تعـاليبو) بى وبأسرتى المكونة من سبعين كتكوتا ، وعشر زوجات سـمينات مـن أجمـل مـا فقس البيض . »

وسال لعاب البعض سرا وتمنوا لو أنهم شاركوا تعاليبو تلك الوليمة العظيمة ، ولكنهم جميعا أخفوا رغباتهم إذ انفجر الديك فى بكاء مرير . وأخذ الاسـد يربت على ظـهره فى ألم حتى انتبه الجميع على صوت الامبراطورة الرحيمة وهـى تطلب مـن الديك أن يعيد القصة المؤلمة من البداية . وهمس بولينياب فى أذنه واعدا إياه بجائزة عظيمة ، من القمح المستورد لو أنه استطاع أن يزيل كل أثر لدفـاع ابن آوى ، وأن يؤثر فى الاسـد التأثير المطلوب ولكى يحصل على تأييد الحاضرين لقضيته ! .

وجمع الديك كل مواهبه الفنية . لأنها كانت فرصة لا يضيعها إلا أحمق أو حمار فقـد كانت عيون الحاضرين جميعـا تفيض بالعـطف عليه والرثاء له ، حتى اولئك الذين أثار شهيتهم منظر الدمـاء واولئك الذين سرح خيالهـم إلى الكتاكيت السـبعين وامهـاتهم العشرة . وكانت الامبراطورة تبكى بحرقة ـ وهى تنظـف مخـالبها وتزوم فى ألم ملكى حقيقى ! !

وحكى (ديك النهار) كيف جاءهم (تعاليبو) مرتديا زى رهبان العرين الملكى ، حاملا كتابا ضخما ادعى أنه مجموعة القوانين الجديدة وادعى أن الامبراطور قد أوفـده ليعلم أسرته المبادىء والقوانين الثورية الجـديدة التى سـيحكم بهـا الضرغام . . الغـابة والاجام ؛

ـ « وصدقناه يامولاى ! صدقناه ومن يسـتطيع أن يكذب رسـولا مـوفدا مـن قبل الامبراطور العظيم ، خاصة وأن الرسـل بشرونا ، ووعدونا بعصر السـلام العـظيم ـ خدعنا ! ! وضعنا ! ! خدعنا باسم قوانينك الجديدة يا ضرغام غابتنا ، وضـاعت أسرتى

المكونة من سبعين كتكوتا وعشر زوجات سمينة من أجمل ما فقس البيض على هذه الارض . وجعلنى (تعاليبو) وحيدا فى هذا العالم الكئيب الرهيب ! ! الذى لولا عطفكم وكرمكم ، وتأكدى من أنكم ستنتقمون لى يا منصف المظلومين ـ لولا ايمانى بكم لانتحرت الان ـ الان ـ ولكننى واثق من عدالتكم الابديه ! ! . »

وكان ختام حديثه مؤثرا للغاية ! . ارتعشت بسببه معظم الحيوانات المعذبة ، ورقص قلب (بولينياب) طبعا ، واشتعل رأس الإمبراطور غضبا . وأحس الذئب أنه سوف يحصل على الراحة وهدوء البال أخيرا . وأن الانتقام من تعاليبو سيكون شاملا ـ ورهيبا . فقد كانت ثورة الامبراطور وغضبه لهيبة قوانينه الجديدة غضبة عظيمة ، خاصة والحبر الذى كتبت به لم يجف بعد ! !

وعندما يثور (أبو لبدة المدهش) فلن يقف فى سبيل إنتقامه حيوان ـ أيا كان ! !

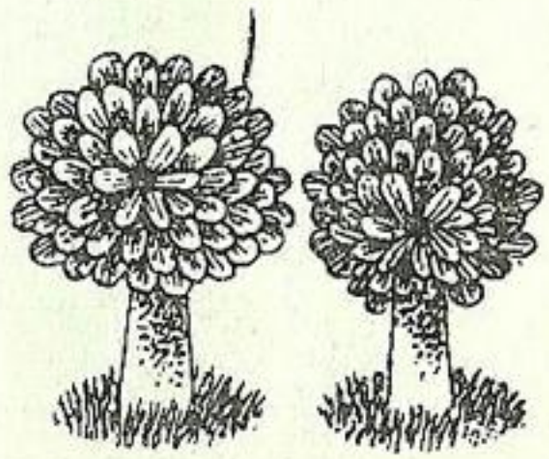

٥ ـ المطاردة الرهيبة . .

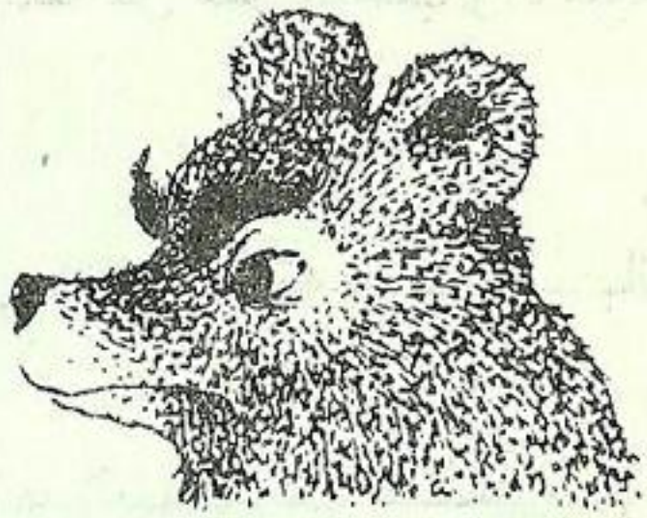

ثار الأسد الامبراطور (أبو لبده المدهش) وهو حينما يغضب أو يثور يصبح رهيبا غريبا ، فلبدته الذهبية المنفوشة تصبح منكوشة وذيله الممدود يصبح مفرودا ، وشواربه المبرومة ترقص وتهتز كلما لهث أو نفث نفسا من أنفاسه الحارة المكتومة ،

وعندما زأر الأسد للمرة الأخيرة يعلن فض الاجتماع إنتفضت الحيوانات المتجمعة فى ساحة العرين . . وارتعشت وتفرقت فى فوضى محدثة ضجة كبيرة . . الاسد معه حق ! . .

وقالت زرافة طويلة الرقبة . . نعم معه كل الحق ! .

وصاح ضفدع كان يقف على شاطىء الجدول : يجب أن يشنق (تعاليبو) مرتين ، أولا لأنه خالف أوامر الاسد (أبو لبدة المدهش) ، ومرة أخرى لأنه انتحل شخصية رسول الملك . . وقتل الكتاكيت ! .

وزأر الاسد للمرة بعد الأخيره !وكان معنى ذلك انه يطلب أحد المخلصين لايفاده فى مهمة خطيره .

ولم يكن هناك من هو أشد اخلاصا للاسد من الدب « لبلب دبدوبه » فتقدم وطلب الاذن بالذهاب واحضـــار ذلك الماكر المارق (تعـــاليبو) حيا مقيدا بالأغلال والحبال . ونظـر الاسد إلى الدب نظرة عرفان وشكر ، وحذره وهو يودعه من مكر الثعلب وألاعيبه ، ولكن الدب « لبلب ودبدوبه » إبتسم فى ثقة وقال :

ضع ثقتك فى خادمك المخلص يامولاى المدهش !

فوضع الأسد ثقته فى الدب بناء على رغبته وجلس ينتظر عودته منتصرا ـ بالطبع !

○

وهناك بعيدا تحت شمس البرارى الدافـئة ، كان تعـــاليبو يلاعب صـــغيريه (تعيلب) و(تعلبان) ويحكى لهما عن مغامراته ومقالبه . . عندما شاهد صديقنا « لبلب » قادما من بعيد ، وهو يتلفت باحثا هنا وهناك ! .

همس تعاليبو لصغيريه :

ـ انظرا ! . لقد جاء الينا ضـــيف ، لابد أن الاســـد أرســـله ليقبض على ، فـــــابتعدوا وانظروا . ولسوف نضحك قليلا . . واختفى تعلبان وتعيلب ، بينما صاح تعـــاليبو ينادى الدب فى ود وترحيب :

ـ مرحبا دبدوبة . من زمن لم نرك يالبلب . هل تبحث عن شيء ؟ . آه . . عرفت ما تبحث عنه فهل تسمح لى بمساعدتك ! وفوجيء (دبدب) (بتعاليبو) أمامه يخاطبه ويكلمه دون خوف ، وهو الذى كان يستعد لمعركة منتظرة . صحيح أنه ارتبك قليلا ولكنه تمالك نفسه وقال فى خشونة :

ـ أنا قادم من عرين الامبراطور . .

فتظاهر تعاليبو بالدهشة وقال :

ـ غير معقول ؟ . وهل رأيته وشاهدته بعينيك ؟ . .

ـ طبعا . .

ـ وهل كلمته وسمعته بأذنيك ؟ . . .

ـ طبعا . دون شك ! . .

فاحتضن تعاليبو دبدوبه فجأة واخذ يقبله وهو يقول :

ـ ياه ! ! ما أسعد حظك يا أخى ، هل تتصور يا صديقى أننى أموت شوقا لرؤية أسدنا العظيم وخاصة ، وخاصة ، بعد أن اصدر أمـره أن نعيش كلنا كالأخـوه فى سـلام . . . ياسلاااام . .

ودهش الدب المشهور (لبلب دبدوبة) ، وأحس أن دمـاغه مثل الطـوبة لأنه لم يفهـم شيئا ، فالعدو الذى جاء ليقبض عليه بالقـوة يقبله فى حـب ، بل ويمـدح الملك ويشـيد بأوامره الجديدة .

فقال وهو يبربش بعينه مرتبكا : . .

ـ ولكن ! . هل ؟ . هل أنت تتكلم الجد ؟ . هل أنت موافق على أمر الاسـد بأن يعيش كل الحيوانات فى سلام ! ؟ .

فتظاهر تعاليبو بالدهشة وصاح :

ـ وهل هناك شك فى ذلك ؟ . يالبلب ؟ .

فحار الدب أكثر وأكثر ولم يدر ماذا يقول ، فاخذ يفأفأ ويثأثأ ثم قال :

ـ ولكن (ياتعاليبو) أنت قتلت عائلة الديك بعد صدور أوامر الاسد ! .

فانتفض تعاليبو صارخا متصنعا الغضب :

ـ أنا ؟ !

قال الدب :

ـ نعم . . إنهم يقولون ذلك . وأنا حضرت لكى أقبض عليك. وآخذك إلى عرين الاسد لأشنقك مرتين . إن الكل يعرف انك فعلت ذلك ، ولقد سمعت القصة بنفسى . . من . . من الجميع . ! .

فصاح الثعلب مستنكرا . .

ـ انهم يتقولون على ويكذبون . . يتقولون ويكذبون دائما ولكن أنا لا يهمنى ذلك ، الذى يهمنى هو أنت يالبلب ! ؟ هل تصدق هذه الاكاذيب عن تعاليبو ؟ !

فزاد اضطراب دبدوبه ، ولم يعد يفهم شيئا . . وقال :

ـ ان الديك يا (تعاليبو) ، الديك هو الذى تقدم بالشكوى ضدك . لقد كان ممزق الرقبه منتوف الذيل ! .

وهنا عصر تعاليبو جفونه بحركة يتقنها جيدا ، فتساقطت دموعه . وقال وهو ينشج بالبكاء : .

ـ الديك ؟ . . الديك ؟ . . وتصدقون الديك ، وأنا (تعاليبو) ذهبت إليه بنفسى أدعوه للنزول من فوق الشجرة للعب كإخوه ولكنه رفض ، أنا ذهبت إليه مسالما حتى قبل أن يمر رسول الملك معلنا أوامره الجديدة ! . .

هل تعرف ماذا فعل بى ؟ ! . .

ـ لا . . .

ـ طبعا لا ! . لانك لم تكن معنا ساعتها :لقد نادى كلاب القرية الشرسة لتطردنى وتطاردنى . وبعد ذلك تصدقونه ! ! تصدقون نابش التراب هذا ، لدرجة أن تأتى انت بنفسك لتقبض على ؟ ! أنا لا يهمنى كل ذلك ، ولكن الذى يحزننى يا (دبدوبة) أنك تصدق ذلك عنى ؟ !

قال تعاليبو هذا ، ثم ارتمى على صدر الدب منتحبا باكيا ، فارتبك هـذا جـدا ، وظـل فترة لا يستطيع أن يجيب بكلمة واحدة ، لكنة أخذ يربت على ظهره فى عطف ثم قال . .

ـ لا . ! يا تعاليبو ! . أنا لا يمكن أن اصدق عنك هذا أبدا . فقط حاول ألا تبكى ، فقـد قطعت قلبى ! ! .

وهنا أشرق وجه (تعاليبو) بابتسامة رائعة ، وقال وقد ملأ قلبه الرضا . .

ـ الآن لا يهمنى شىء ، مادمت أنت تصدقنى . هيا بنا ، أنا مستعد للذهاب معـك الأن حتى للموت .

وكان (تعلبان) و (تعيلب) يراقبان ما يحدث . وتعجب (تعيلب) لان والده (تعاليبو) مضى مع الدب فعلا ، وكاد ينادى عليه لولا أن امسك به (تعلبان) وحذره مـن التدخـل حتى لا يفسد خطة والده ! . .

وتسلل الاثنان يراقبان من بعيد ما سيحدث ! . .

صاح (تعاليبو) فى فرح وهو يلف ذراعه حول الدب فى ود ! . .

ـ هذه الدنيا غريبة جدا تصور يالبلب ، اننى عندما رأيتك قادما من بعيد ظننت أنك قادم لتبحث عن شىء ، شىء انت تحبه جدا فقلت لا ولادى : هاهو ضيف قـد جـاءنا ولابد أن نكرمه .

ولمست عبارة (شىء تحبه) وترا حساسا عند الدب فقال :

ـ أنت ذكى جدا يا (تعاليبو) ! .

فاستمر (تعاليبوا) قائلا . .

ـ وقلت لتعلبان ولدى الصغير الذى سوف أقدمه اليك فى مرة قـادمه قلت له : لابد أن نساعد ضيفنا العظيم . . وندله على مكان ذلك الشىء الذى يحبه ولكن تصـور مـا الذى حدث ! لقد كنت قادما للقبض على . . تصور ؟

وتصور (دبدوبة) بالفعل ، ولكنه أراد أن يتأكد ـ فسأل :
ـ ولكن أى شيء تظن أننى آتى للبحث عنه هنا ؟ هه وكنت ستدلنى على مكانه ؟
فضربه (تعاليبو) ضربة ودودة وصاح فى مرح :
ـ ها ـ العسل ـ طبعا . عسل النحل الرائع وبكميات وافرة أيضا !
وغمز بعينه غمزة ذات معنى . .
وهنا لم يستطع الدب الاحتمال فرقصت شواربه واهتز ذيله وأخذ يلعق شفتيه بلسانه الاحمر الطويل . وقال وهو يدارى خجلة بالنظر إلى أظافر يده :
ـ ألم اقل لك ؟ . انك ذكى جدا ـ وخسارة . انك تعرف كل شيء تقريبا (ياتعاليبو) ـ انك تعرفت اننى اموت ـ أموت حبا فى العسل . فأرجوك أرجوك لا تذكره أمامى ـ أرجوك ! فان بدنى كله ينتفض شوقا ولهفة عند نطق هذه الحروف الثلاثة المسحورة ع س ل . . .
ولكن (تعاليبو) قال له مطمئنا . .
ـ لا تقشعر ابدا فليقشعر بدن أعدائك أما أنت .
وهمس تعلبان فى اذن تعيلب :
ـ لقد وقع الدب فى قبضة والدنا . أنظر إليه انه يكاد يرقص هبلا ولابد أنه يحلم بالسباحة فى نهر العسل ! !
وقاد (تعاليبو) صديقه (لبلب) فى طريق يعرفه الثعالب تماما ويتجنبون السير فيه ، لان به عشرات من الفخاخ القوية التى أقامها الفلاحون لصيد الحيوانات التى تسرق حقولهم هناك .
وبحركة خفيفة تخلص (تعاليبو) من ذراع صديقه التى كانت تحتضنه فى حب ودفعه دفعة خفيفة جدا بعدها تعالت صيحات الدب عالية تشق الفضاء ـ يستنجد بصديقه

ليخلصه من الفخ اللعين الذى أطبق على قدمه بقوة ! .

ولكن الدب ابتلع صرخاته وآلامه فى حسرة عندما شاهد (تعاليبو) يرقص مع جـرويه الصغيرين الذين خرجا فجأة من بين الأشجار وهما يضحكان فى سخرية ويغنيان :

« مـارأيـك يادبدوبـة . .
فى عسـل النـحل المنعش ؟
كل حـتى تشبـع منه . .
وخذ البـاقى للمدهـش ! . »

وبعد أن شبع تعاليبو سخرية من الدب قال لهما :

ـ هيا بنا ، لقد غنينا وضـحكنا وعلينا أن نسـتعد الآن لما سـيحدث بعـد ذلك ـ إلى اللقاء ! . يادبدوبة ولا تنس أن تبلغ تحياتى إلى الامبراطور ! !

○

وهاج الأسد وماج ، عندما خرج ليستقبل رسوله العـائد فـوجده ممـزق الفـروة مقطوع الذيل ، مضروبا بالعصى الغليظة . .

وما أن وصل الدب أمام الأسد حتى أنحنى باكيا يقول فى حرقة :

ـ ضربنى الفلاحون يامولاى ! ! .

وطبعا لم يذكر شيئا عن نهر العسل الذى كان يود الاستحمام فيه .

ولم يجد الاسد وقتا أو قلبا لكى يلومه وان كان قد أصدر أمرا عاجلا بألا تحمل الدببة جميعها ذيولا بعد الآن ، عقابا لها على إهمال رئيسها لبلب وفشـله وسـماحه لنفسـه بالوقوع فى الفخ ! .

ثم زأر مرة أخرى يطلب شخصا آخر للذهاب لاحضار ذلك الذى فشل الدب فى القبض عليه ـ أى تعاليبو ـ حيا أو ميتا ! !

ودقت الطبول الملكية تودع القط « بولشناب » قائد الحرس الملكى الذى تطوع للمهمة وسط تصفيق الحيوانات والطيور ! !

وكان (تعالييبو) فى نفس تلك اللحظة قد عاد للجلوس هادئا امام جحره الصيفى ينتظر وصول رسول الاسد الجديد . وكما توقع بالضبط رآه قادما وهو يتشمم الأرض فى اهتمام فابتسم واستعد لاستقباله بما يليق .

انتظر تعالييبو حتى اقترب بوليشناب منه جدا ـ فصاح مرحبا به على حين غرة ، صيحة أزعجت القط وجعلته ينط فى الهواء صارخا يموء ويزمجر ثم يهبط مقوسا ظهره استعدادا للقتال . . .

لكن تعالييبو ضحك وقال فى هدوء :

ـ هل أزعجتك يا أعز القطط ؟ ! .

فتمالك القط نفسه واصلح من حاله ثم نظر إلى تعالييبو شذرا وقال فى جديه :

إسمع ! لست هنا لألعب معك فليس هناك هزر بينى وبينك وليس بيننا كلام ـ ولا سلام . ولا تظن أننى أحب العسل ، فاحذر فأنت لن تخدعنى . وهيا معى بالتى هى أحسن فالأسد ملكنا جميعا ، ينتظرنى عائدا بك إليه . فتظاهر (تعالييبو) بالدهشة وقال وكأنه يسمع اسم الاسد لاول مرة :

-« وما الذى يريده الأسد العظيم من حيوان ضعيف مشرد فى البرارى مثلى ، هه ؟ هل ـ هو يريد أن يلحقنى بخدمته ! .

فضحك القط ساخرا ، وقال :

ـ نعم . . سوف يجعلك وزيرا للخداع ، ولكنك قبل أن تتسلم عملك عليك أن تمر بكل الطقوس اللازمة لهذا ، وانت تعرف أولها ـ وهو أن تعلق بحبل صغير فى مشنقة عالية .

ثم صرخ فيه فجأة :

ـ هيا ! ، ولا تفكر فى أحد ألاعيبك الخبيثة . فأنا حذر جدا ! ويجب أن تعرف أنى أذكى

مما تظن يا ملك الثعالب ! .

فقال (تعالىبو) وهو يتظاهر باليأس والاستسلام :

ـ حقا ! . هذا صحيح ! . ولابد أن أحتفظ بشجاعتى الآن وأنا أواجه مصيرى الأسود ولكن فلتكن كريما معى ياسيدى مثلما أنت حذر منى . أنك لا ترضى أن اترك ابنى هـذين بلا طعام . فاسمح لى أن اذهب فى حراستك ، إلى مخزن قريب مـن هنا ، لاصـيد لهمـا عددا من الفئران البرية السمينة ! .

قال تعلبان : خذنى معك يا ابى ، فانا ماهر جدا فى صيد الفـئران البرية السـمينة ، بل اننى أمهر من يصيدها على سطح هذه الأرض . . فقاطعه تعالىبو . .

ـ كن مؤدبا يا تعلبان . . ولا تتحدث عن مهارتك أمـام أعظـم صـائد للفـئران فى العالم ! ! .

فضحك (تعلبان) ساخرا هو وتعيلب الذى قال : ليس هناك من هو امهر من أخى .

واستشاط القط غضبا لهذا التطاول عليه ، ولكن تعالىبو أسرع يسترضيه قائلا . . .

ـ لا تؤاخذهم ياسيدى ، فانهم صغار لا يعرفون من أنتم ، ولم يروا من قبل ماذا تفعل انت عندما تتجلى عبقريتك أمام الفئران ، عندما ترغب فى الصيد ! ! .

واهتز شىء داخل القط ، ولمع فمه فى نهم وشد قامته فى غرور والتفت فى كبرياء قـطط ناحية الصغيرين وقال للثعلب :

ـ هيا بنا ، وسوف اساعدك فى الصيد ، حتى لا تضيع الوقت ، ولنترك لهما مـا يأكلان ولو أن صغيريك هذين ليسا على درجـة كبيرة مـن الادب ! . ولكنى سـأريهما شـيئا يتذكرونه هيا بنا ! .

وظل تعالىبو يعتذر ويرجوه ألا يفعل ذلك قائلا أن اشتراك رسـول الملك معـه فى صـيد الفئران شرف لا يستحقه ثعلب هارب من العدالة مثله . . . فتعجب القط وقال :

ـ ومن سيشترك معك ؟ ! هل تظن أننى أسمح لنفسى أن اشترك معـك فى عمـل . . إن كان هذا يعتبر عملا . . أننى سأصيدها لك فى ثوان . سأفعل ذلك لا لقنك أنت وصـغارك درسا فى الأخلاق ، ولان العدالة تقضى بأن نجيب آخـر رغبة يبديهـا مـن سـيموت مشنوقا ! ! .

وهنا أشار تعاليبو إلى الطريق . ونظر نظرة ذات معنى لصغيريه ، الذين كتما ضحكهما وهما يهمهمان :

ـ وقعت يا (بولشناب) أسير غرورك . . .

كان ذلك المخزن الذى أشار إليه (تعاليبو) مخزنا مهجورا من زمن بعيد . وكان مظلما شديد الظلمة نصب فيه الفـلاحون فخـاخا لصـيد ابن عرس والجـرذان التى كثيرا ما هاجمت محاصيلهم وبمجرد أن تدلى القط المتعالى من السقف ولمست قدميه الارض الرطبة حتى صرخ صرخة حادة ، بالضبط كما توقع له المنتظرون الثلاثة فى الخارج . فقد امسك به احد تلك الفخاخ بقوة وحاول هو جـاهدا التخلص منه دون جـدوى وزاد مـن رعب القط أنه لم يتبين حقيقة ما أمسك به بسبب شدة الظـلام وخيل إليه أن وحشـا رهيبا قد اطبق على اقدامه بأسنانه الحادة ، خاصة وقد راح تعاليبو وطفليه يخـربشون الحائط ويزيدون خوف القط المأسور فى الظلام وهم يغنون . .

بولشنـــاب ياجبـــار
فئـران الغيـط كبيـره
خـذ منهما وارجـع المـدار
كى يأكـل كل الجيـره
لا تحـزن ان فاتـك فـار
فستـأتى الفـرص كثيـره

ولا ندرى كيف عاد بولشناب إلى مولاه الأسد ، يقـولون أنه عاد ذليلا مـكتئبا وذيله بين رجليه من الخجل . ولكن الذى ندريه ـ أن تعالييو قال لاسرته :

ـ سيثور الأسد ويفور ـ وسـيطلب مـن الفيل تجهيز الجيوش للقبض على ، فهيا بنا لأجد لكم مكانا أمينا تعيشون فيه فترة من الزمان حتى تنفرج الأزمة وحتى أستطيع أن أواجه ما سيحدث بعد الآن بذهن صاف وتفكير سليم . !

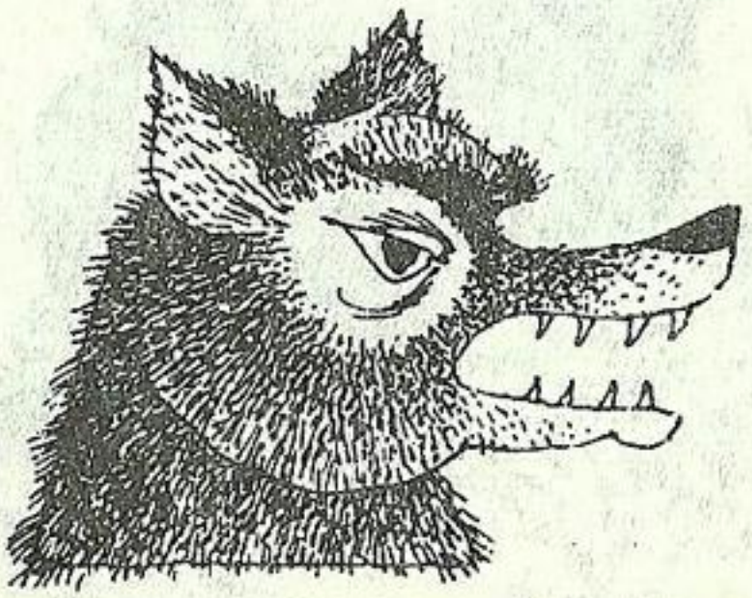

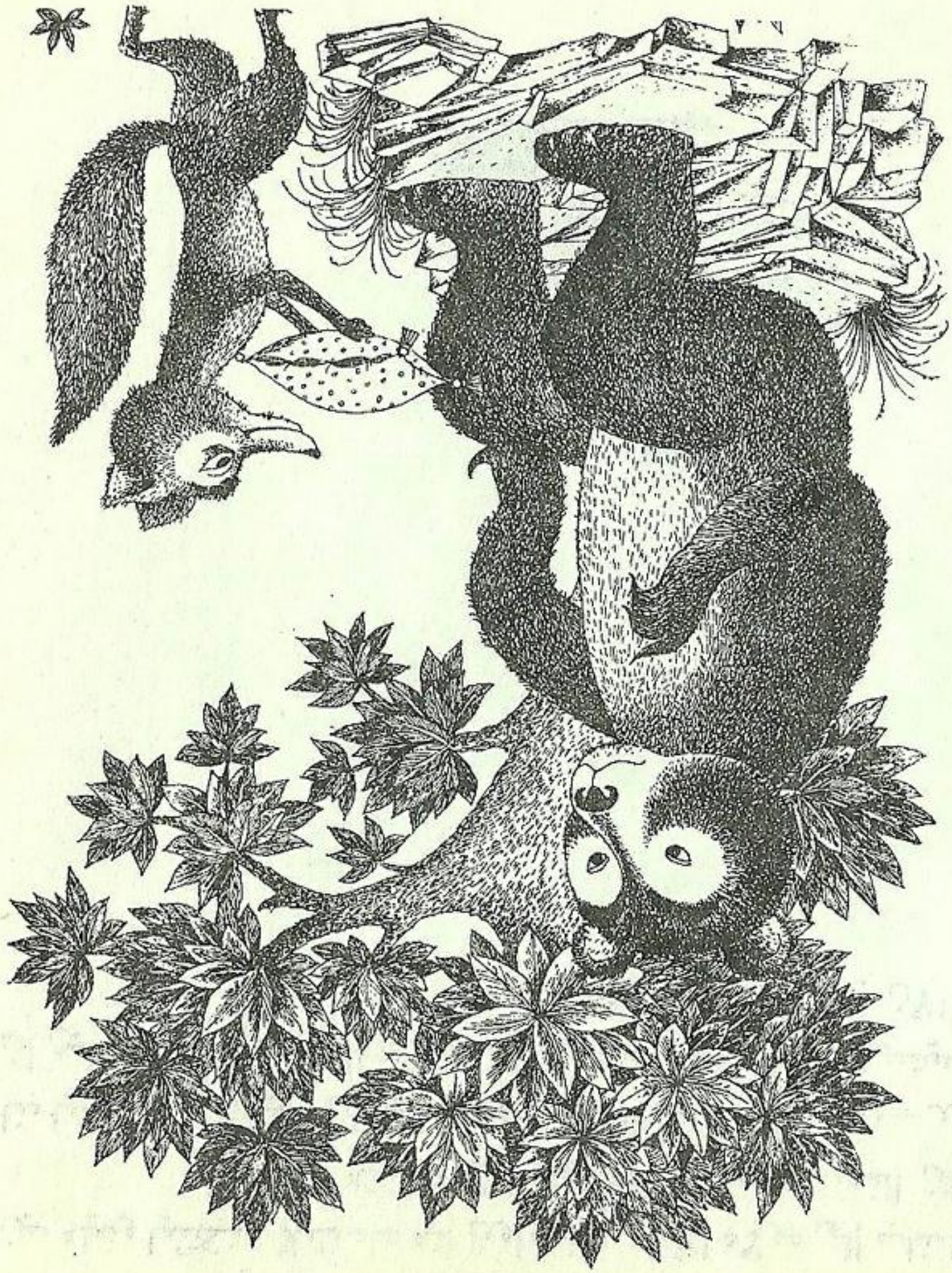

٦ ـ محاكمة تعاليبو

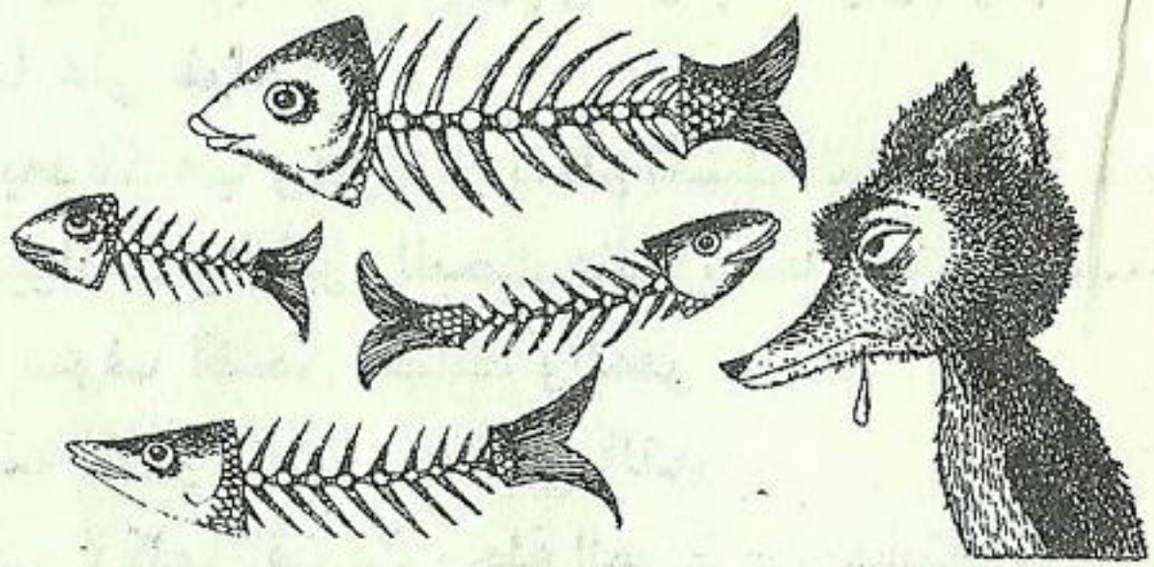

كان تعاليبو على حق تماما ، فقد كان غضب الأسد شديدا عندما عاد أليه (بوليشناب) وذيله بين رجليه من الخجل والعار بعد أن ضربه أصحاب المخزن المهجور ونتفوا فروته . وأحس كل من رأى الأسد ساعتها أنه سوف يتخذ قرارا خطيرا لمواجهة ألاعيب تعاليبو فقد كان يدور حول نفسه فى القاعة الكبرى للعرين كأسد أسير فى أحدى حدائق الحيوان .

وفى تلك اللحظة الخطيرة ظهرت حقيقة أن الظفر لا يخرج من اللحم وأن الدم لا يصبح ماء أبدا ، فقد أخذ (ابن آوى) يفكر ويفكر فى وسيلة لانقاذ عائلة ابن عمه العزيز ، ولولا اعتماده على مكانة خاصة له فى قلب الاسد لما أستطاع الدخول عليه وهو فى هذه الحالة من الغضب ليتقدم اليه باقتراح لانقاذ الموقف . وطلب من الامبراطور إعطاءه فرصة

أخيرة لاحضار (تعاليبو) مستسلما خاضعا لكى يحاكم أمـام محـكمة قـانونية عادلة فتنتهى الأزمة على صورة ترضى الجميع وترفع مكانة الامبراطور كحكم بين رعاياه . .

وسمح الامبراطـور (ابو لبدة المدهش) (لابن آوى) بالذهـاب لاحضـار ابن عمـه وصديقه المخلص .

كان (ابن اوى) يعرف دائما أين وكيف يجد (تعاليبو) وكان (تعاليبو) يعرف تماما سبب حضور ابن عمه ووافقه تماما على قوله :

ـ لقد مضى وقت الضحك فالأمر لم يعد فكاهيا وعليك أن تسلم نفسك للبلاط والا فسوف يستنفر الامبراطور كل جيوش الحيوانات والطيور للبحث عنك وسـاعتها لن يسـتطيع أحد الدفاع عنك فتعالى معى وأنا سوف أضمن نجاتك والعفو عنك . .

ووافق تعاليبو على تقدير إبن عمه للامر وعاد معه على الفور .

لكن الخوف كان يملا قلب (تعاليبو) كلما اقتربت رحلة العودة من نهايتها وكان قلقه يزداد شيئا فشيئا ، خاصة عندما رأى كل هذه الحشود الهائلة من جمـاهير الحيوانات المختلفة الألوان والأشكال التى تجمعت يدفعها الفضول كعـادتها عندمـا تمـر المواكب الرسمية حتى ولو كانت تعلم أن صاحب الموكب ليس إلا ثعلبا تنتظره المحاكمة والعقاب المؤكد .

وقرر الثعلب بعد لحظة تفكير ثعلبية خاطفة أن يحول هؤلاء الذين جاءوا للفـرجة عليه إلى مستقبلين له مرحبين به ، فشد قـامته ومشى باعتداد ملكى ينظـر ذات اليمين وذات الشمال وهو يلوح بكفه عاليا ويهز رأسه فى سمو . وفعل تصرفه هـذا فعـل السـحر فى الحيوانات المحتشدة فبدأت همهمات الاعجاب به تسرى كالنار فى الهشيم ثم تحولت الى صيحات مبهورة وهتافات مرحبة وكاد رجال (بوليذياب) يفقدون سيطرتهم على النظام ولم ينقذ الموقف الا وصول الموكب الى باب العرين الملكى .

لكن الامبراطور المرعب رفض السماح (لتعالييو) بالمثول بين يديه على الفور كما أنه رفض التماسا قدمته قبائل ذوى الذيول المنتوشة للعفو عنه ـ وقال بعض الخبثاء من العليمين ببواطن الأمور أن رفض الامبراطور لذلك ماهو الاتمثيلية متقنة الصنع متفق عليها من قبل ولكن الكثيرون تشككوا فى ذلك خاصة عندما خرج بعض الرسل والمنادين من القصر وانتشروا فى أرجاء الغابة يعلنوا أن المحاكمة وتنفيذ حكم الأعدام سوف يتمان صباح الغد أو مساءه على اكثر تقدير . .

وقد قيل ان غدا قريب لناظره وأن يبدو بعيدا . . !

وما أن صاح المنادى ودب النشاط فى الغابة ، حتى كان الميدان قد ازدحم عن أخره بجموع الحيوانات التى جاءت أو على الأصح بقيت منذ الأمس فى انتظار المحاكمة والتنفيذ أو فى انتظار معرفة كيف ستسير الأمور .

وانعقدت هيئة القضاة وجماعة المحلفين واستدعى الشهود فى حراسة مشددة ومنع اتصالهم بأحد خشية أن يؤثر عليهم أى شىء عدا الخوف من انتقام رجال بولينياب . وجلس الامبراطور ، وقد هرب من وجهه كل تعبير وبجواره جلست الامبراطورة تتلفت فى وقار يمينا ويسارا لترى أثر جمالها على الجموع ، وهى تمد رقبتها فى حركة نبيلة مثل ديك تركى واخترق الثعلب (تعالييو) القواعد المنظمة للمحاكمات الوحشية طالبا أن يعترف . وكان طلبه هذا سببا فى ارباك كل الحاضرين من رجال القانون ورجال الضبط والربط لكنهم حتى بعد الرجوع للمراجع لم يجدوا مفرا من الموافقة على طلبه وسمح له بالتقدم الى وسط الحلبة لكى يراه ويسمعه الجميع .

همس البعض أنه سوف يقلب المنضدة عليهم وأكد آخرون أن هذا يؤكد ماقالوه سابقا من أن الأمر كله تمثيلية اتفق الجميع عليها ، بينما فسر غيرهم ذلك بقنوط الثعلب ويأسه من أى عفو بسبب فداحة جرائمه . وهمس (الحمار كار) الشهير بالقانونجى

لزملائه الجالسين فى صفوف المحامين قائلا : ان اعترافه يؤكد وجهة نظرى . . ولكنه لم يشرح أبدا ماهى وجهة نظره وعندما طالبوه بها لزم الصمت مشيرا الى تعـاليبو الذى كان قد بدأ يتكلم وسط صمت رهيب .

وابتدأ تعاليبو فى صوت عميق جلى واضح يشرح كيف لاقى الأمرين وهو يحاول تلقين أبناء الديك الأغبياء قوانين الامبراطور الجديدة لكنهم لما جبلوا عليه من جبن وتعصب ، رفضوا أن يفهموا أن عهدا من الحب والسلام قد حل على الغابه ان هم آمنوا بالمبادىء التى يريد الامبراطور أن يرسيها وأنه اضطر عندما ضاقت به سبل الاقناع اضـطر آن يتحمل وحده مسئولية تخليص العصر الجديد من أمثالهم وقرر أن موقفهم العـدائى منه ومن القوانين الجديدة قد تمثل فى جرأة الديك نفسه وتحريضه كلاب القـرية على الثعلب الذى وهب نفسه لخدمة الامبراطور . . ثم انتقل بسرعة وهو يطلب عدم مقاطعته ليشرح الظروف التى لابست رحلة الدب العـظيم الكونت (لبلب دبدونه) الذى تسـكره رائحـة العسل ورحلة رب الوقار والحكمة السيد (بوليشناب) عاشق الفئران . وقـال أنه كان مخلصا يريد إكرامهم عندما دلهم على منابع العسل ومآوى الفئران وابدى أسفه الشديد لما حدث لهما بعد ذلك والذى لا دخل له به . ثم صاح فى صوت متهدج مؤثر نفذ إلى أعمق أعماق قلوب الحاضرين :

اننى مستعد لتقديم روحى فداء لمبادىء امبراطورى المحبوب ، فـلأكن أول شـهيد فى سبيل عدله لأن المبادىء العظيمة فى حاجة الى دماء الشهداء ! !

وصفق الحاضرون من الذكور وبكت الحاضرات من الاناث ، وهتف الصغار واندفـع كل الجالسين فى صفوف المحامين ـ وعلى رأسهم (حمـاركار) الشـهير ناسـيا مـوقفه السابق ـ ليدافعوا عن الشهيد المنتظر . وحدثت ضجة رهيبة واختلط الصـياح بالنباح والزعيق بالنهيق فلم يفهم أحد شيئا .

وانتهز بولينياب الفرصة فأسرع باحضار صحيفة سوابق تعالييو وكان سجله حافلا بالجرائم سواء فى ظل القوانين القديمة أو الجديدة فلم يجد المحلفون بدا من اظهار عدم تحيزهم وعدم تأثرهم بالعواطف باصدار الحكم بإعدامه شنقا حتى الموت واضعين الأمر كله بين يدى الامبراطور شخصيا .

وهنا . . ظن جيش ذوى الذيول المنفوشة أن مسعاهم ابن آوى لم تسفر عن نتيجة فانسحبوا جميعهم احتجاجا على هذه الخيانة ، وكان هذا الانسحاب ضد رغبة الامبراطور الذى يعرف أن هذا الجنس هو أكثر أجناس الحيوان عددا وحكمة وخبرة بشئون السياسة والحكم والتنظيم الادارى ، واضطر الى دخول العرين ليخفى ارتباكه الواضح وعند ذلك فقد (لبلب ببدوبة) وبولينياب كل سيطرة على الموقف وبدا واضحا ارتباكهما ، فمضى (تعالييو) يسخر منها وهو يؤكد بصوت عال ضاحك أنه سوف ينجو بالرغم منها ولن يصيبه أى أذى ، مما أثار أعجاب كل الاناث المراهقات اللائى تجمعن حوله يطلبن منه توقيعه للذكرى .

ولا يدرى أحد ماجرى بين الأسد وابن آوى فى الليل . وارتبك المحللون الذين يعرفون بشكل مؤكد أن الأمر كله مدبر منذ البداية لأن الصباح حل ولم يصدر قرار العفو وانما صحا الجميع على صوت نقارى الخشب وهم يعدون المشنقه وسط نفس الميدان الذى جرت فيه المحاكمة .

وأحضر الحراس تعالييو الذى بدا مرهقا قلقا رغم محاولاته الظاهرة لاخفاء ذلك عن عيون أعدائه واصدقائه . .

وسمع الملك وهو يجلس إلى جوار الامبراطورة نهنهات وشهقات بكاء مخنوقة هنا وهناك ، لكنه جلس متجهما وبدا أن الأمر كله غير مفهوم عندما حلت اللحظة الأخيرة

فطلب (تعالييو) موجها التماسه إلى الامبراطوره، طالبا منها أن تسمح له بالاعتراف الأخير الذى يثقل قلبه.

وبحركة نبيلة سمحت له الأمبراطوره، مستندة الى سيادة القانون. وبحركة أروع لا يتقنها إلا (تعالييو) نفسه أبعد حبل المشنقة عن رقبته ومضى يلوم نفسه معترفا بأنه كان آثما وأنه يستحق كل ماجرى له وماسيجرى له فى المستقبل لأنه جمع ثروة هائلة من الجواهر واللآلىء خلال حياته الحافلة وأنه لم يتح لنفسه الفرصة للاستمتاع بها أو استخدامها الا لتمويل مؤامرة (مزعومة) ضد العرين بالاشتراك مع أقرب الناس للامبراطور وللامبراطوره. وانه الآن مضطر للاعتراف بذلك لأن شركاءه مازالوا يتمتعون بالرضاء السامى بينما يموت هو دون أن يعرف أحد الطريق الى كنزه وثروته المدفونة فى مكان ما فى الغابة..

ارتجف قلب الأسد رعبا عند سماعه بالمؤامره بينما سال لعاب الامبراطوره لذكر تلك الثروة الهائلة من اللآلىء والجواهر. واهتز قلبها طربا لخاطر مر بقلبها وأوحى لها بإمكان الحصول عليها فطلبت من زوجها فى دلال أن يمنح لتعالييو فرصة كشف المتآمرين واثبات براءته وانقاذ الكنز ولما وافق الملك الامبراطور، إنخلعت قلوب كل المقربين اليه والى الامبراطورة وكل منهم يظن أن تعالييو كان يقصده عندما تحدث عن شركائه فى المؤامرة وساد صمت عميق وترقب. وتعلقت الأبصار بشفتى تعالييو وتوترت الآذان فى انتظار ماسينطق به من كلمات وارتجفت الذيول قلقا عندما نشر تعالييو فوق وجهه سحابة من الألم العميق وبدأ يحكى بتمهل متعمد، وتطويل مقصود عن تلك المؤامرة الرهيبة التى كان سيمولها بجواهره وكنزه لصالح صديق الملك الصدوق الكونت (لبلب دبدوبه) حامل الأختام ورئيس الديوان وزميله السيد (بوليشناب) القط المدلل الذى يعرف كل أسرار الامبراطوره. والأدهى من ذلك أن الذى كان سيقع عليه الدور

الأكبر فى تنفيذ الجزء العملى من التمرد هو السيد (بولينياب) حامى حمى الأمن الداخلى والذى طلب نصف الكنز له ولرجاله لمنع وصول أى أنباء عن المؤامرة الى الامبراطور حتى يوم التنفيذ .

وكان (تعالييو) يعرف تماما أن من الصعوبة أن يصدق الامبراطور مثل هذا الكلام عن أقرب مساعديه ورجاله فعمد الى تذكير الامبراطور بمؤامرة شبيهة بتلك كان والده قد اكتشفها أيام كان الامبراطور مجرد شبل صغير وولى للعهد . ثم عاد بلا مناسبة واضحة يصف كنزه الخفى ومابه من ذهب وجواهر تغرى أخلص الخلصاء بالتآمر وحذر من أن أحدآلا يعرف مكانها وانها سوف تضيع تماما ان لم يسمح له باستخراجها واهدائها الى العرش تكفيرا عن تفكيره فى خيانة الامبراطور تلك الخيانة التى دفع اليها فى الحقيقة ـ كما قال هو ـ تحت إغراء (دبدوبة) و(بوليشناب) و(بولينياب) .

وكان الثلاثة قد انهاروا لما شاهدوه من صدى لأكاذيب تعالييو على وجه الامبراطور والامبراطورة . وصعق الثلاثة عندما همست الامبراطورة للامبراطور طالبة منه العفو عن (تعالييو) لانقاذه العرش واعترافه الشريف . وسمعوا بعدها زئير الامبراطور المرعب يهز المكان آمرا بالقبض عليهم وايداعهم السجن ومصادرة كل أملاكهم وكانت فداحة الأمر واضحة جلية على وجهه وهو يقوم غاضبا منفعلا تاركا الساحة الى داخل العرين ليدرس الموقف على مهل .

○

وتم كل شىء بسرعة وحسم مثلما يتم فى كل الظروف المشابهة . .

وذبح العدد المناسب لبشاعة المؤامرة .

وقام رجال (بولينياب) أنفسهم بالقبض عليه وعلى من تقرر التخلص منهم ومن غيرهم . .

وألقى بالمتآمرين الثلاثة فى سجن سحيق انتظارا للمحاكمة وللموت وأعيد (تعـاليبو) الى الساحة مرتديا عباءة مـن عباءات الشرف فهتفـت الجمـوع بحياته وسـألته الامبراطوره وهى تلوح بيدها للحيوانات . . عن مكان الكنز فـاجاب وهـو منحنى عبر الشرفه :

ـ انه هناك وسط الأدغال المهجورة بجـوار النخـلات الثلاث القـائمات عند النبع ذو الشعبتين .

ولما أبدت تساؤل المتعجب من وجود مثل هذا المكان المجهول أسـتشهد (تعـاليبو) على الفور بسائسها الخاص السيد المقدام (أرنوبة بولودان) فأمن السـائس المرتعش على كلامه وتطوع بإخبارها لأول مرة بأنه مـر على ذلك النبع كثيرا خـلال العـام الماضى . وسرت هذه الشهادة حضرة الامبراطورة وأمرته أن يصحب الثعلب فى رحلته لاحضـار الكنز . . ورحب (تعاليبو) جدا بمصاحبة الأرنب (بولودان) المخلص خاصة وأنه ينوى القيام برحلة قصيرة الى (معبد الفيل) ليقدم شكره وصلواته احتفالا بنجاته وليتطهـر قبل أن يلمس جواهره مرة أخرى . .

وعرض مشروع الرحلة على الامبراطور فوافق وقد اسعده أن الأمور سارت كما تمنى وأن لم يظهر سروره هذا ، لكنه أصدر أوامره لكاهنه الملكى الخاص (الخروف شحتوف ابو صوف بأبأبأ ا ا ا ه) بالذهاب مع تعاليبو ليصلى معـه ومـن أجله حتى تتبارك رحلة التوبة هذه وليتبارك الكنز وصاحبه التائب الكبير . وأصدر أوامـر أخـرى لكل رجـال البلاط والحرس الامبراطورى كي يتجهزوا وليكونوا معه ومع الامبراطورة فى استقبال (تعاليبو) لدى عودته طهورا من المعبد عند مفترق الطرق لمصاحبته الى حيث يرقد الكنز تحت النخلات الثلاث والنبع ذى الشعبتين ولم يجد تعاليبو غضـاضة فى ذلك بل إبتسـم ابتسامتين وفكر فى فكرتين ثعلبيتين .

○

٧ ـ الرحلة إلى القمة

كانت رحلة التوبة والتطهير غاية فى البساطة والروعة . فقد ارتدى (تعاليبو) ثوبا خاصا بالحجاج المتطهرين تليت عليه صلوات الكاهن (بأ بأ بأ ا ا ا ه) سبع مرات وأعارهم الملك احدى العربات الملكية التى تجرها حيوانات السيسى (المينى مهر) ذات اللون المبرقش يسوقها السايس الامبراطورى (بولودان) بنفسه مرتديا حلة بالقصب والذهب مشغولة بخيوط حرير طبيعى فى لون ثمار الكريز الدمويه .

وعلى حافة الأحراش الكثيفه حيث كان (تعاليبو) يعرف أن عائلته مختفية عن الأنظار فى مكان يعرفه هناك ، استطاع (تعاليبو) اقناع رفيقيه بترك العربه فى ظل شجرة وارفه ليكملا الرحلة داخل الأحراش على الأقدام . ثم إستطاع بسهولة يتقنها فصل رفيقيه احدهما عن الآخر ثم قطم رقبة الأرنب بكل بساطه عندما انفرد به وهو يقول لنفسه ببرود :

ـ لعل هذا يعلم الامبراطـور شـيئا عن الأتباع والمعـاونين ـ فـالأتباع الأغبياء لا يصنعون سوى امبراطورية غبية . .

وأصدر (تعالييو) صفيرا خاصا بفمـه خـرجت عليه عائلته فـرحة مهلله ، فـدعاهم لمشاركته الوليمة احتفالا بعودته سالما رغم كل شيء . ثم جلس معهم فى هـدوء يسـتمتع بقص ما حدث له أو على الأصح ما أحدثه هـو فى صـفوف أعدائه بينمـا كانت شـمس الخريف الدافئه تلمس أطراف أنوف الثعالب فتدغدغ مشاعرهم .

وطلب تعالييو من زوجته أن تضع رأس الأرنب وأطرافه وجلده المسـلوخ الدامـى فى جوال من الكتان الجيد وتربطه جيدا وهو يقول :

ـ سيكون هذا درسا آخر للامبراطور الذى يجب عليه دائمـا أن يعـرف الفـرق بين التظاهر بالعدالة وبين العداله الحقيقية تنفيذا لما يتفق عليه بين الشرفاء .

(مشيرا بذلك إلى ما قيل عن اتفاق بين ابن آوى والامبراطور حول المحاكمة وما يجب أن يتم فيها .)

ولم يمض وقت طويل حتى وصل الكاهن الكبير (بأ بأ بأ ا ا ا ه) متعبا بعـد أن ظـل طوال ذلك الوقت يبحـث عن رفيقيه أو عن النبع ذى الشـعبتين عبثا . وتلمـظت الثعلبة ولكن الثعلب قال لها هامسا « أن قتل الخروف لا يدخل ضمن خطته » وأسرع يرحـب به معتذرا له عن سوء الحظ الذى فرق خـطاهم وأخبره أن (بولودان) قـد شـعر بوعكة مفاجئة اضطر معها أن يدخله حجرة الفرن الدافئة حتى يشفى ، ولما طلب منه الخـروف أن يراه ليصلى طالبا شفاءه ، أسرع تعالييو يعتذر إليه قائلا :

ـ نحن لا نريد أن نضيع الوقت ، فلابد أن الامبراطور ومرافقيه قـد وصـلوا الأن الى النقطة المتفق عليها ولذلك فقد جهزت هدية متواضعة من اللؤلؤ النادر والجواهر الفاخرة داخل هذا الكيس وعليك أن تحملها على وجه السرعة يا صديقى إلى الامبراطـورة وان

تحمل معهـا تحياتي واعتذارى لانشـغالى ببعض المشـاكل العـائلية ولكن لا تنس إن تخبرهم أننى لابد سأعود حتما وبسرعة فأنا لم أعد أطيق الغياب أو الابتعاد عن البلاط الامبراطورى العظيم . . .

وفرح الخروف طبعا لأنه سـوف يكون حـامل البشـارة بالعثور على الكنز ، فلفـع (الزكيبة الدامية) ومضى يرتل ويغنى وهو يحلم بما ينتظره من نفوذ فى البلاط وحـظوة عند الامبراطورة عاشقة الجواهر . واشتد به الفرح فـرقص اغنية الخـرفان السـعيدة بينما التفت حوله عائلة الثعالب تشاهد رقصته وتبارك مستقبله . ثم ودعته حتى نهـاية الطريق ، وعادت وقد فاضت بقلوبها السعادة فيما عدا الثعلبة التى كان من رأيها إخفاء معالم كل شيء بالتهام الخروف هو الأخر وانكار رؤية الاثنين على الاطلاق ! !

○

ولأى انسان أو حيوان مطلق الحريه لتخيل مدى غضب الامبراطـور عندمـا فتحـت زكيبة الهدية ووجدت بداخلها أشلاء الأرنب (بولودان) الأثير لدى الامبراطـورة والذى ترك زوجته واولاده ووهب نفسه لخدمة القصر .

وللجميع ايضا مطلق الحرية فى تصور الصدمة التى أصابت الامبراطورة عندما مـدت يدها ملهوفة داخل الزكيبة لتخرج ملوثة بدم أقرب كاتمى أسرارها . .

ولكن ليس لأحد أن يبالغ فى تفسير ما أصدره الامبراطور مـن قـرارات ردا على تلك الخديعة القاسية :

فقد صدر الأمر السامى على الفور بالعودة أولا . وخلال رحلة العودة توالت القرارات العاجلة لتصحيح أثار الخدعة الكبرى وتخفيف أثار الخيبة الامبراطورية

أفـرج عن الثلاثى البرىء (بولينياب) و (بوليشـناب) و (ببدوبة) مـع الترضـية الكاملة والتعويض .

وأرسل رسول امبراطورى إلى حيث تقطن زوجة السـايس المخلص (بولودان) عند شاطىء النهر حاملا معه وساما وخطابا ملكيا وقـرارا إمبراطـوريا بمنحهـا معـاشا استثنائيا مدى الحياه واعفائها من الضرائب المتأخرة والضرائب المستقبلة واعتبارهـا رعية خاصة لها حقوق أفراد العائلة الامبراطورية محظور على موظفى الغابة التعـرض لها بسوء أو إجبارها على عمل شىء لا ترضاه .

كما أصدر الامبراطور قرارا بحبس الكاهن وعزله باعتباره قد أهمـل على الأقـل فى حماية السايس ان لم يكن قد تواطأ مع الثعلب لكى يجعل من الامبراطـور أضـحوكة ، واغاظت هذه الفكرة الامبراطور فأمر بوضع كل عشيرته وابناء عمومته مـن الخـرفان والحملان والماعز تحت تصرف (بولينياب) .

ـ الشخص الوحيد الذى يعرف الطريقة المثلى للتعامل معها منذ زيارته لحظيرة القرية تلبية للدعوة المزعومة !

كل ذلك لم يخفف من غضبة الامبراطور فأمر عند وصوله إلى العـرين باقـامة حفـل لامثيل له على شرف الثلاثى البرىء لتقدم اليهم فيها كافـة الترضـيات اللائقـة لمحـو مالحقهم من عار واهانة . والحقيقه أن الامبراطور كان يبغى أن يمحو ببهجـة الحفـل ما بقلبه من اضطراب وغضب ولكن (بولينياب) لم يسمح بذلك إذ قدم إليه عشرات مـن التقارير العاجلة قدمها إليه رجاله النشطين عن جـرائم جـديدة ارتكبهـا (تعـاليبو) متحديا كل المشاعر وكل الأعراف . مما جعل الامبراطور ينفجر ويزأر فى وحشية مقررا ارسال جيشه لتحطيم ذلك المخـادع عديم الحياء ، لكن رسـولا قـدم إليه وأبلغـه أن الامبراطورة تريد رؤيته على عجل فاعتذر لضيوفه ومضى إلى جناحها فـأثار هـذا قلق (بولينياب) فارسل بعضهم خلفه لتقصى حقيقة الأمر وابلاغه على الفور .

وفى جناح الامبراطورة كان هناك (ابن آوى) واقفا فى أدب بجوارها لكن الامبراطور

تجاهله ولم يرد تحيته ، وعندما قالت له الامبراطورة أن (تعاليبو) برىء وأن هناك سوء فهم غير مقصود هو سبب كل ما حدث رفض الامبراطور أن يقتنع وحاول ابن آوى تذكير الامبراطور بما كان قد تم الاتفاق عليه لكن الامبراطور ظل على تجاهله له بل وكاد ان يفتك به لولا زمجرة عتاب من الامبراطورة ردته عنه مذكرة أياه انه فى حمايتها وانها تصدقه .

ولم يجد الامبراطور مفرا من الموافقة على قدوم تعاليبو لشرح ملابسات ما حدث بنفسه حتى يمكن تصديقه .

وعلى الفور انطلق ابن آوى ليعود بابن عمه وانطلق بعضهم ليخبر (بولينياب) بما حدث حتى يدبر أمره هو الآخر .

ولم يعد للامبراطور أى رغبة فى المرح فأصبح الحفل كئيبا واصبح الأمر كله غير مفهوم وبذل (بولينياب) كل ما فى وسعه لمنع تعاطف الامبراطور مع تعاليبو أو ميله إلى جانب براءته .

○

وقف (تعاليبو) أمام الامبراطور فى هدوء وشجاعة منحنيا يتقبل تعنيفه وتوبيخه ولومه دون كلمة ، وعندما رفع رأسه كانت أمارات الدهشة محفورة على وجهه وابدى استغرابه لما يقوله الملك وانكر تماما أن يكون هوالمسئول عما حدث (لبولودان) واتهم الكاهن (بأ بأ بأ ا ا ا ه) بقتله للاستيلاء على الهدايا والكنوز التى أرسلها معه . ولما اعترض الامبراطور على اتهامه للخروف أسرع « تعاليبو » يقول :

يامولاى . . لاتنس أن كثيرا من العباءات الصوفية تخفى تحتها نفوسا شريرة كثيرة .

لكن الامبراطور تجنبا لضغوط الامبراطورة وخوفا من الوقوع فى شرك خداع الثعلب مرة أخرى انطلق مع حاشيته للصيد تاركا الأمر كله بين يدى القضاة ليبتوا فيه

وليقرروا ما يرونه حسب ما تقضى الشرائع والقوانين .
وانتاب اليأس (تعاليبو) للحظة ولكنه كعادته لم يذع مشاعره تتغلب عليه فاستدعى ابن عمه بسرعه واتفق معه على تجنيد كل معارفهم فى القصر وخارج القصر لتبرئة ساحته .
وذهب ابن آوى لمقابلة السيدة (الخيز بون نحلة ذات القرون) وصيفة الامبراطورة وصانعة حلواها وطبيبتها الخاصة التى اشتهرت برقاها السحرية ذات الأثر الحاسم ضد الحسد والحقد . فظلت تزن على أذن الامبراطورة مظهرة كل العطف على (تعاليبو) الذى تعرف عنه الاخلاص للقصر وتعرف رغبته فى إهداء كل كنوز الدنيا الى الامبراطورة . وأخذت تؤكد أن موت عبقرى مثله سيكون خسارة كبيرة لا تعوض وأخذت تروى عنه الطرائف والحكايات التى تؤكد قدراته المتنوعة ومواهبه الفذة .
واثناء رحلة الصيد تحدث كثيرون عرضا عن خدمات والد (تعاليبو) العظيمة للدولة وتضحياته فى سبيل البيت الامبراطورى منذ تأسيسه وأحضرت الثعلبة الزوجه صندوقا صغيرا به عقد من لؤلؤ الخليج هدية للملكة لأنها سمحت لها بزيارة زوجها الأمين .
وفعل كل هذا فعله رغم مقاومة (بولينياب) ورجاله ، وتقدم إبن آوى بطلب إلى المحكمة يطلب فيه أدلة مادية تثبت جرم (تعاليبو) وتحدى هو وهيئة الدفاع أن يكون هناك أى إثبات سوى تقارير رجال (بولينياب) الذين يأكلهم الحقد ويدفعهم الغباء لتلطيخ سمعة الأذكياء من أمثال (تعاليبو) . ولكن المحكمة تحت تأثير نفوذ (بولينياب) رفضت وجهة النظر هذه مما جعل (تعاليبو) يتقدم بورقته الاخيرة طالبا تسوية الأمر كله فى قتال حر حتى الموت مع خصومه واحدا بعد الآخر حسب ما تقضى احدى مواد قانون الغابة التى تبيح انهاء المشاكل المعقدة والقضايا العويصة بالقتال ، فيكون الحق فى جانب المنتصر لكى يستولى على أملاك المهزوم واموالة بل وعلى مركزه الرسمى ، ولم

يكن أمام جميع أصدقاء تعاليبو ما يفعلونه سوى الضغط فى سبيل قبول طلبه .

○

وبينما كان طلب (تعاليبو) يسير فى طريقه الروتينى أسرع (بولينياب) الذى كان يتحرق شوقا للانتقام منه الى أخذ الموافقة أن يكون هو ممثل الخصوم فى قتال (تعاليبو) ولما علم (تعاليبو) حاول التراجع . ولكن الامبراطور كان قد وافق مبديا اعجابه بشجاعته رغم كل شىء . وتحدد اليوم التالى للقاء الخصمين اللدودين فى الفناء الدائرى الذى يتوسط حظائر الأغنام الامبراطورية . . والحقيقة أن الامبراطور أسر ليلتها للامبراطورة بتمنياته لتعاليبو بالانتصار لأنه يستحق كل خير ولأنه أنفع بذكائه للعرين ، ولأنها ستكون فرصة للتخلص من غباء (بولينياب) ومن تسلط رجاله وطموحهم الذى لا حدود له . . وعندما وصل لـ (تعاليبو) ذلك الخبر ارتفعت روحه المعنوية ونام نوما عميقا هانئا يحلم بالانتصار .

○

وفى الصباح التالى بينما كانت الاستعدادت تتم على قدم وساق فى الفناء لجولة الصراع الأخيرة . تناول (تعاليبو) فطورا لذيذا حمل اليه من مطابخ العرين وزارته (الحيزبون نحلة ذات القرون) وصيفة الامبراطورة ودهنت فروته بدهن سحرى صنعته بنفسها من نخاع التنين فبدا ناعما ملفتا للأنظار . وأخبرته أنه سيضمن له الانتصار وابلغته تمنيات الامبراطورة فارتفعت روحه المعنوية . بينما فقد (بولينياب) نصف قوته عندما أبلغه رجاله بكل ذلك واحس أن الارض غير ثابتة تحت أقدامه لكنه استجمع كل أحقاده وهو يتذكر كل ماأصابه على يد (تعاليبو) فاندفع مزمجرا الى الحلبة . بينما تقدم (تعاليبو) فى هدوء الواثق محييا الامبراطورة التى رمت اليه بمنديلها ثم الامبراطور الذى أسرع يخفى ابتسامة التشجيع عن عيون رجال (بولينياب) السريين ثم حيا الحيوانات المحتشدة والتى جاءت بدعوات ملكية خاصة ابتداء من حامل اختام

المملكه حتى شيخ حارة القرود حمر المؤخرات .

ودق الطبل معلنا بداية النزال . ودار الثعلب حول نفسه فى حركة بارعة ومـرغ ذيله فى التراب ثم نفضه وهو يتظاهر بالهرب فى عين (بولينياب) فأعماه تقريبا بينما راح هـو يحيى فى ثقة الحيوانات ، وغافله الذئب وطرحه أرضا ودب أسنانه الشهيرة بين أفخاذه وتألم الثعلب لكنه تحامل على نفسه كالعادة وانزلق من بين يدى الذئب يساعده الدهـن الذى دهن به جلده واندفع ناحية سور الحظائر ثم صاح فى الذئب قائلا :

ـ أسرع يا(بولينياب) سوف تفوتك الفرصة أنهـم يقسـمون الحمـلان الجـديدة بين الضيوف وسيضيع نصيبك . . .

ولم يكن أشد من غباء الذئب سوى جشعه فاندفع متعثرا ليحصـل على نصـيبه المزعوم فضج الحضور بالضحك مما أربك الذئب وجعله ارتباكه فـريسة سـهلة فـانقض عليه الثعلب وطرحه أرضا وكاد أن يقتله لولا أن تدخل الامبراطور شخصيا طالبا العفو له . . فقبل تعالييو طلب الامبراطور فى تواضع مما جعل الحضـور يهتفـون باسـمه فى حـب وتقدير والامبراطور يعلن انتصاره وبراءته .

وتحول الحفل المقام لمصارعة (تعالييو) الى حفل لتكريمه فى سرعة وكأن الأمـر كان معدا من قبل وخلع الامبراطور عليه خلعة فاخرة من الحرير الكريزى المزين بفـرو الدب الأبيض وعينه وزيرا للأموال والكنوز وجابيا للضرائب وضمه هـو واسرته الى البلاط مع منحهم كل حقوق الحيوانات النبيلة .

٨ ـ فى خدمة الامبراطور

لم يكن هناك من هو اكثر سعادة من الامبراطـور لانتصـار (تعـاليبو) سـوى الامبراطوره . وقد أثبت (تعـاليبو) أنه عند حسـن ظنهمـا تمـاما . واثبت للتاريخ الامبراطورى أن عدو موهوب قد يصبح يوما ما صديقا عظيما بقدر ما يصـبح الصـديق الغبى عدوا دون أن يدرى .

وقد حاول الذئب (بولينياب) بكل قواه ورجاله السريين أن يضع الأشواك فى طـريق الثعلب ولكن كل ذلك كان عبثا وبلا فائدة . كان الامبراطـور يمـزق التقـارير ضـد (تعاليبو) دون أن يقرأها وأصبح يتمنى الفرصه لكى يتخلص مـن (بولينياب) نفسـه ذلك لأن مواهب (تعاليبو) قد تجلت ولم يعد هناك لدى أى إنسان أو حيوان أو طير أى شك فى أنه سوف يصبح الحيوان الأول فى الغابة ، وأن الأسد المدهش أبولبدة كان عنده حق فى خوفه ، عندما كان (تعاليبو) متمردا عليه .

لقد عوض (تعالبيو) الامبراطورة عن الكنز المزعوم الذى لم يعثر عليه عند النبع لأنه لم يوجد ابدا ، عوضها بعشرات الكنوز جمعتها له الحدادى وأولاد عرس وثعابين الماء لدرجة أن أصبحت الامبراطورة أغنى من أى زوجة سبع فى أى غابة حتى الغابات التى يحكمها سباع من أصول عريقة .

كما أن (تعالبيو) استطاع أن يحل ببساطة ذلك التناقض الذى أوقع فيه الامبراطور المدهش نفسه عندما أعلن تلك القوانين الخاصه بالسلام والحب بين رعاياه والتى سميت (بقانون الافتراس العام لسيادة القانون والوئام) حيث لم يستطع أحد من مساعديه أو مستشاريه أن يجيب على تساؤلات كثيرة حول تطبيق ذلك القانون . .

لأنه إذا كان الأمر سيصبح كذلك فكيف سيحصل الامبراطور بسهولة ويسر على أوزى صغير لافطاره مثلا . وكيف سيتم احضار بقرة للغذاء دون الدخول فى دهاليز قانونية ، أو دون الاحتفاظ بوجه النظام مشرقا ، وبثياب الحكم غير ملطخة بدماء الرعايا الابرياء .

لم يكن (تعالبيو) قانونيا ولكنه كان خبيرا فى تدبيج القوانين وصياغة الحيثيات التى تحير أذكى المحامين والدستوريين وتطلق يد الامبراطور فى التصرف دون أدنى شبهة أو نقد .

ولم يكن (تعالبيو) رجل دوله ولكنه إستطاع أن يلم بدقائق الأمور وأن يجيب على أى سؤال وان يقدم أى معلومة مطلوبة فى الوقت المناسب سواء كانت تلك المعلومة تتعلق بصبغات جلد النمور أو بطرق زراعة وجمع التمور أو تتعلق بعدد الشعيرات فى السنتيميتر المربع من جلد الليمور .

كان(تعالبيو) يعرف أين تخبىء الحيوانات الصغيرة غذائها وأين تختزن النمال طعامها وأين يحتفظ النحل بالغذاء الملكى ، ليحضر للامبراطور ما يريد وكم يريد فى اللحظة المناسبة . . وكان يعرف متى تمر الفلاحات بالجبن الى السوق ومتى ستخطف

الغربان أقراص الجبن من فوق رؤوسهن ليذهب فى اللحظة ، المناسبة ليجمعها لافطار الامبراطورة وكان يعرف أين تحتفظ النعاج بتوائم الخرفان ، وأين تخفى الغزلان الصغار الرضيعة ، وكيف يختار الوقت المناسب لاختيار ما يناسب عشاء الامبراطور .

ولم يكن (تعالييو) يجد صعوبة فى الحصول على أفراخ اليمام والحمام والنوارس حتى ولو كانت أعشاشها فوق قمم النخيل العالى أو فى شقوق الحوائط والشواطىء الصخرية . فقد أقنع الجميع بقدرته على صعود أى نخلة ، واختراق أى حائط ، والغوص إلى أعماق أعمق بحيرة ، وعبور أكثر الأنهار والجداول اضطرابا وثورة .فاستسلمت لقدراته كل الطيور والأسماك والحيوانات آكلة العشب ، ولم يعد أحد يسمع سوى زئير الرضا والانسجام ، يملأ الأدغال والآجام ، منبعثا من العرين الملكى ، مؤكدا قوة الامبراطور ورسوخ النظام .

ولم يكن (تعالييو) وقد وصل الى كل هذا يفكر لحظة فى القضاء على الذئب (بولينياب) فقد كان يؤكد أن أمثاله من الأغبياء ضرورة حيوية لاستقرار النظام فى الغابة ولاثبات قوة وحيوية قانون البقاء للأصلح وكان يؤكد وجهة نظرة باستحالة حصوله على الأوزى الأبيض الذى حلم به ذات ليلة من ليالى الجوع الماضية أيام التشرد . واستحالة إظهار عبقريته وتوريثها لابنه يوم جعل الذئب يأكل ذيله . ولا كيف وصل إلى ما وصل إليه الآن من سمو وعظمة إن لم يكن نقيضه الآخر (بولينياب) على قيد الحياه وعلى قدر من الغباء يشحذ عليه سكين مواهبه فتظل مصقولة لامعه . نعم كان (تعالييو) على عكس (بولينياب) مخلصا فى إبقاء غريمه دائما قريبا من العرين وحريصا على عدم التخلص منه . .

فأصحاب العقول لهم نوائب
تموت ولا تقدرها الذئاب .
ولكن الغبى له مصائب
تجندله ولو سكن السحاب

وهذا ما كان يقدره (تعاليبو) ويعرف أنه سوف يحدث . فالغبى يقتله غباؤه . ولذلك لم يشغل باله على الاطلاق بالقضاء على (بولينياب) الذى جاء اليوم الذى قضى على نفسه بنفسه .

وان سألتم عرفتم !!

ففى يوم من الايام . . كان الامبراطور المدهش أبو لبدة مريضا متعبا فأمره الأطباء بالخروج إلى الصيد والمرح ليتمتع بالشمس والهواء دون أن يرهق نفسه فأخذ معه (تعاليبو) الذى اصبح لايفارقه أبدا . . وأخذ معه (بولينياب) بحكم مقتضيات الأمن وليصيد له أرنبا بريا أو غزالا شاردا ولا نريد أن ندخل فى التفاصيل فانها لا تفيدنا وإنما يعنينا ما حدث عندما اصطادوا بعد قليل غزالا من ذوى القرن الطويل .

فقال الامبراطور وهو يلهث من التعب والجوع

ـ هيا يا (بولينياب) العزيز ، لقد تعبنا اليوم ونستحق أكلة شهية فهيا قسم الضحية .

وبينما قال (تعاليبو) هامسا للامبراطور فى أدب أن التعب من أجل إسعاده راحة . راح (بولينياب) بكل همة يقسم الصيد أقساما ثلاثة بالتساوى ، وهو يظن أن من حقه أن يشارك الامبراطور فريسته ، حتى ولو كان هذا الامبراطور هو الذى أعلن قوانين الحب والعداله .

أنا لا أستطيع أن أقرر هل الحق معه أم لا ؟ فأنا لست معهم ولست منهم بل ولست

حتى فريستهم لأقول رأيى . . ولكن (تعالييو) ابتسم وسكت بينمـا نظـر الامبراطـور الجائع إلى الأكوام الثلاثه فى تساؤل فلما أجاب (بولينياب) نظرته بقـوله مشـيرا الى أحدها :ـ

تفضل يا مولاى بالهناء والشفاء . .

التفت إليه غاضبا ولطمه لطمـة كومته على الأرض جثة هـامدة صـامتة كأن لم يكن هناك أى (بولينياب) فى يوم من الأيام .

والتفت الامبراطور ابو لبدة المدهش نحو (تعالييو) وقال فى صوت يخنقه الغيظ :

ـ قسم أنت الطعام يا (تعالييو) .

وبهدوء شديد يليق به ، وبابتسامة تليق بالموقف حمل تعالييو جثة الذئب ووضعها فـوق الأكوام الثلاثة وقدم الجميع الى الأسد قائلا :

ـ تفضل يا مولاى . . فأنت قد تعبت اليوم وتستحق أن تشبع وتكتفى أما أنا فيكفينى رضاك عنى وقضمة من ذيل الغزالة ان تفضلت بها على . .

وزأر الأسد ضاحكا وانقض على كوم اللحم يلتهمه بشهية عظيمة وهو يلقى بين الفنية والفينة بقطعة (لتعالييو) . . وهو يقول :

ـ قل لى يا (تعالييو) العزيز يا صاحب العقل اللذيذ . . أين تعلمت الحكمة فى تقسـيم الصيد بينك وبين الأباطرة المرعبيين المدهشين

فابتسم تعالييو فى تواضع وقال .

ـ يا مولاى تعلمنى جثث الذئاب الغبية كيف أخاطب أصحاب القبضات القوية . .

وارتفعت ضحكاتهما عاليا ترعب صغار الطيور والحيوانات والبشر على امتداد السمع ومدى البصر

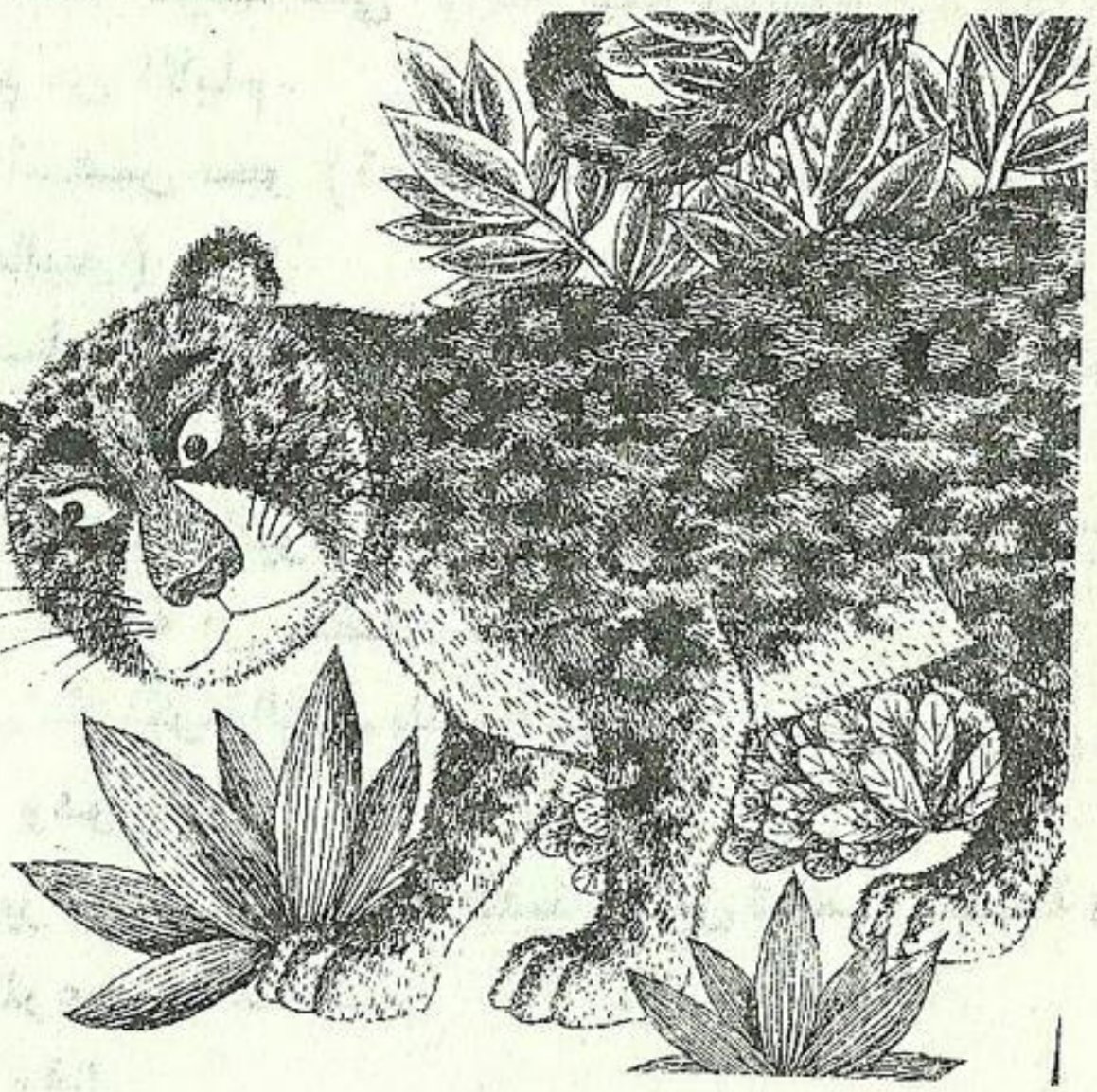

٩ ـ السباق العظيم

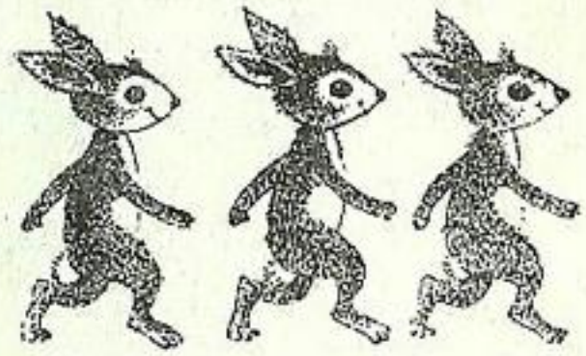

كان الأسد حزينا جدا عندما دخل عليه (تعاليبو) ذات صباح ، فحياه قائلا :

ـ صباح الخير يا أعظم الملوك ، وأشجع الأسود !

ولكن الأسد لم يرد عليه وبقى قابعا وقد مد يديه وارتكز عليها بذقنه الملكية حزينا مهموما ! . .

فقال (تعاليبو) .

ـ مولاى الحبيب ، لماذا أنت حزين ؟ . أنك تحكم أكبر غابة فى الدنيا ، وكل الأسود والسباع من سلالة الفضنفر الأكبر يحسدونك ويتمنون أن يكون لهم نفوذك وقوتك ورجالك !

فاهتز جسم الأسد الأمبراطور ألما وهو يتأوه مما جعل (تعاليبو) ينتفض خوفا وحزنا لألمه وقال :

ـ يا مولاى الأمبراطور يا أبو لبدة ! . أيها المدهش . لا تخفى عنى شيئا ، إننى عبدك وخادمك وموضع سرك أفتح قلبك أخفف عنك

فانتفض الاسد واقفا فجأة مما جعل تعاليبو ينتفض رعبا وهو يرى الأسد يروح ويجىء فى العرين وقد عقد ذيله الغضب والالم . وحاول تعاليبو أن يقول شيئا لكن زمجرة الأسد أخرسته فسكت منتظرا ما سيقول . وبعد فترة رهيبة قال الأسد :

ـ أنت تعرف يا تعاليبو أننى لا أخشى أحدا ، ومنذ حكمت هذه الغابة لم يجرؤ سبع أو نمر على منازعتى عرشى فأنا لا أخشى احدا أليس كذلك ؟ .

فوافق تعاليبو بسرعة :

ـ حاشا لله يا مولاى ـ من يستطيع أن يقول غير ذلك ؟ !

فقاطعه الأسد صارخا :

ـ أنا ! . . أنا الذى أقول ذلك ! أننى الآن لا أنام ، عيونى لا تغفل يا تعاليبو وأظل ساهرا طول الليل أفكر وافكر والخوف والقلق يملآن قلبى بالفزع من المستقبل لأن ملكى سيضيع يا تعاليبو ، سيضيع بينما نحن نتفرج .

ولم يدر (تعاليبو) بماذا يجيب الأسد ولكنه اسرع يقول فى حنان :

ـ مولاى ! . أخبرنى بما يقلقك ، قل لى أنا فأنا تعاليبو حبيبك وصفيك الذى لم يخذلك منذ شرفته وألحقته ببلاطك . وجعلته موضع سرك .

فقال الأسد أبو لبدة فى صوت متهدج مرتجف :

ـ الثيران الثلاثة ! . يا تعاليبو ! الثيران الثلاثة سيدمرون عرشى .

ـ وما شأنهم يامولاى ؟ . هل بدر منهم شىء ؟ . . هل جرأوا على فعل شىء .

ـ أنهم سبب خوفى ورعبى لأنهم يزدادون قوة يوما بعد يوم وهم دائما معا ! . يأكلون ويشربون معا ! . واذا دعوت أحدهم الى عرينى ، لا يأتى وحده أبدا وإنما يأتى ومعه

الآخران معا . . أنا أخشاهم معا ، واظن آنهم سيغتصبون عرشى ذات يوم معا . .
فقال تعاليبو وقد أدرك الموقف محاولا الامساك بالخيوط كلها فى يده كعادته :
ـ فى الحقيقة يا مولاى ، أنت معك حق . وصلوا إلى غابتنا وسمحت لهم أنت بالبقاء فيها ، وهم يتصرفون وكأنهم وحدهم الذين يمشون على الأرض ولسان حالهم يقول : يا أرض اتهدى ما عليك قدى . وخاصة ذلك الثور الاصفر الماكر انه يكرهنى جدا لأنه يعرف مكانتى عندك . أما الأسود ! فآه منه وهو المدبر المفكر فقد سمعته يتحدث عنك حديثا يامولاى لا أستطيع أن أعيده عليك ولكنى أراقبهم منذ ذلك اليوم بدقة حرصا عليك .
فزمجر الأسد وقد خنقه الغضب قائلا :
ـ والثور الأحمر ، يا تعاليبو ! . . آه من الثور الأحمر فإننى كلما نظرت فى عينه الباردتين الصامتتين اقشعر بدنى من هول ما أراه فيهما . . لا . . لا هذا الامر يحتاج الى حل حالا . . حالا والا أصابنى جنون .
فتظاهر تعاليبو بالعجز ، لكى يأتى بالحل بعد ذلك فيعترف له بالفضل كله وتكون المكأفأة على قدر القلق . فصمت برهة وقال :
ـ ولكن كيف يا مولاى . . كيف ؟ . .
فصاح به الاسد :
ـ أنت الذى يسأل ؟ ! . . تعاليبو ؟ شغل مخك وحرك قدراتك واشحذ مواهبك ولا تسألنى . أننى آمرك أن تبحث عن حل ، نعم فورا ! وسف تكون . . تكون . . تكون وزيرى الأول أن أنت نجحت فى تخليصى من هؤلاء الوحوش الثلاثة .
قال تعاليبو وهو يخفى سعادته الغامرة :
ـ الأن وجدت الحل يا مولاى ! هل تعرف قصة الرجل العجوز وابناءه يوم اراد أن

ينصحهم عندما جاءه الموت . رد الاسد وقد أسعده أن يكون (تعالييو) قد عثر على حيلة للتخلص من الثيران الثلاثة . . .

ـ لا أعرف قصصا (يا تعالييو) . . فأنا لم أجد وقتا لقراءة القصة فى أى وقت ، لقد شغلتنى أمور الغابة والحكم عن كل شىء

فقال تعالييو وقد أخذ صورة الحكيم الوقور :

ـ لا يهمك يامولاى ، فانا قرأت لك الكثير ، فاعتبرنى كتابك المفتوح واسمح لى أن أذكرك بها : يحكى أن رجلا عجوزا طلب من أبنائه وهو على فراش الموت أن يحضروا حزمة من العصى وطلب منهم كسرها لكنهم عجزوا جميعا عن ذلك وبعد ذلك طلب منهم أن يفكوها ، ليكسروها : عودا ـ عودا . فكسروها بكل سهوله . ها . ها . . ها . .

ضحك تعالييو ، لكن الاسد لم يشاركه ضحكه . فقال تعالييو :

ـ هه ! . هل فهمت يامولاى ؟ . .

فرد الاسد فى غباء عادى :

ـ لا . . طبعا ! ! هل هذا وقت الحديث عن العصى ؟ ! أحدثك عن الثيران فتحدثنى عن رجل عجوز وعصى

فأسرع (تعالييو) يبلع فكرته حتى لا يتمادى الاسد فى غضبه ويحدث ما لا تحمد عقباه . وبلع ابتسامة ساخرة وقال :

ـ لا يهم . المهم الان ـ أن تعلن عن سباق كبير يقام وسنرى ما يمكن عمله يا ملك الزمان ! ! .

○

وفى اليوم التالى . .

مضى المنادون يعلنون عن السباق الكبير الذى يقيمه الملك فى الساحة الملكية ، وتجمعت

الحيوانات من كل نوع ومن كل صنف وعلى الاغصان وقفت الطيور تغنى وتصرخ . وضرب البوق الملكى . وتقدم الامبراطور (أبو لبدة) إلى المقصورة الملكية وهو يبدى سرورا بالغا لسعادة شعبه الحبيب . وفى طريقه ، حيا الثيران الثلاثة بابتسامة رقيقة وهو يخفى حقده عليهم ! . .

وأخذ (تعاليبو) يقدم المسابقات المختلفة ، فتسابق صقر ونسر فى الارتفاع إلى طبقات الجو العليا . ثم تسابقت سلحفاتان فى البطء وسط ضحكات الجميع ، واستعرضت الأفيال خراطيمها الجديدة ، بينما تبارت غزالة مع وعل فى القفز العالى . وكان الحفل قد وصل الى ذروته عندما أعلن تعاليبو عن تفاحة من الذهب يقدمها الملك الاسد لمن سيفوز فى اكبر سباق ستشهده الغابة بين الثيران الثلاثة فى الجرى وقبل أن يعترض واحد منهم ، صفقت الحيوانات وهللت ، ورحب الجميع وحيوا الثيران الثلاثة وهتفوا لهم واظهر الأسد رضاه الملكى فلم يكن ممكنا أن يعتذر الثيران بعد كل هذا . . وقام الثيران الثلاثة ، واصطفوا عند أول الساحة وجهز (تعاليبو) شريط النهاية . ولما استعد الجميع ، أطلق تعاليبو إشاره البدء وانطلق الثيران الثلاثة . .

وتعالى ضحك الحيوانات لما حدث منهم وغضب تعاليبو وزمجر الأسد فى حنق اذ بدا الأمر وكأنه لا فائدة من كل ما دبراه : لقد كان الثيران الثلاثة يجرون معا فى صف واحد إذ اتفقوا على أن يسيروا خطوة خطوة مع بعضهم حتى لا يسبق واحد منهم .

ولم يكن (تعاليبو) ليرضى بهذه النتيجة لانه عندما فكر فى هذه الحيلة ، كان يريد أن يجعلهم يتنافسون على التفاحة ، فتتفرق كلمتهم ويقع بينهم الخلاف ، ليستطيع هو بعد ذلك أن يدبر وسيلة لافتراسهم ، واحدا واحدا . .

ولكن هاهم يفسدون خطته ، ويجرون معا ، وكأنهم يقولون له : حتى التفاحة الذهبية

لن تجعلنا نختلف (يا تعـاليبو) . لكن تعـاليبو الذى لم يتعـود أن يهـزم ، أعلن إعادة السباق مرة أخرى لتساوى النقط بين المتسابقين . وتجـاهل إحتجـاج الثيران الثلاثه على ذلك .

وعلا صوت النفير مرة أخرى وازداد تهليل الحيوانات وحمـاسهم . فلم يجـد الثيران الثلاثة بدا من إعادة السباق . ولكنهم اتفقوا على السير معا مـرة اخـرى . وضـحكت الحيوانات . وغضب الملك وكظم غيظه .

لكن (تعاليبو) كان قد دبر الأمر طبعا فقد اندفع أرنب صغير إلى وسط الساحه أمام الثيران بالضبط قرب خط النهـايه ! ! فحـاول الثور الابيض تفـاديه فـاصطدم بالثور الأسود ، وسقط الاثنان معا ، ووجد الثور الأحمر نفسه مندفعا حتى خط النهايه ، دون أن يستطيع التحكم فى خطواته بسبب ارتباكه الشديد فـوجد نفسـه فـائزا فى السـباق بالرغم منه .

وصاح تعاليبو منتصرا واندفع واندفعت الحيوانات خلفه تحيط بالثور الاحمر وتطوقه بالورود وتهتف باسـمه عاليا وتحمله حتى المقصـورة الملكية ليتسـلم التفـاحة الملكية الذهبية ، بينما كان الثوران الاخـران ينفضـان التراب عن جسـديهما . ويمسـحان جروحهما دون أن يدركا إن كل شىء قد تم ضد رغبة الثور الأحمر ، الذى كان يفكر فى أن يحتج ويعتذر ويشرح الأمر لصديقيه فورا ويرفض التفاحة ، لولا أن (تعاليبو) لم يتركه وأوعز للأسد أن يدعوه إلى مائدته وحده ، حيث ظـل طـول اليوم مـوضع حفـاوة الملك وترحيبه ، دون أن يستطيع توجيه كلمة واحدة لصديقيه .

وفى المساء ودع الامبراطور الثور الاحمر حتى باب العرين ، وهو يفرك مخالبه سعيدا عندما كان (تعاليبو) يهمس فى أذنه : « استعد يامولاى ! فسوف تكسر اليوم أول عصـا فى الحزمة »

ولم يفهم الاسد معنى كلامه فقال :

ـ عصا ؟ أى عصا هل كان كل هذا التعب من أجل أن أكسر عصـــا ؟ أننى أريد الثور ياصديقى .

وبلع تعاليبو سخريته وقال :

ـ أقصد أول ثور يامولاى ! أول ثور ملكى .

فضحك الاسد ، وبقى منتظرا ما سيحدث وقد حدث لان الثوران الاخران ـ بعد أن ملأ وشاة كثيرون أذنيهما بأكاذيب ألفها (تعاليبو) ـ رفضا أن يكلما صـــديقهما الاحمـــر ، واتهماه بأنه نقض اتفاقهم فى سبيل تفاحة تافهة ووليمة رخيصة وأنه باع نفسه للعرين الملكى بثمن رخيص . ولما حاول أن ينفى هذه التهمة بشدة ، قـــال الثور الاســـود وهـــو يحاول نطحه :

ـ هل تنكر انك كنت سعيدا وأنت محمول على الاعناق بينما نحن الاثنين نقف ذليلين معفرين بالتراب .

وهنا غضب الثور الاحمر وثار لكرامته وثار أكثر لان زميليه يفكران بهذه الطـــريقة . وحاول شرح الأمر مرة أخرى ، ولكن الثور الابيض رفض أن يســـمع له . ولم يســـتطع الثور الاحمر اقناع رفيقيه ببراءته ، وكاد الثلاثه أن يقتلوا بعضهم ، خاصة عندمـــا طلبا منه غاضبين أن يذهب ليعيش فى مـــكان آخـــر . ولاول مـــرة منذ وصـــل الثلاثه إلى تلك الغابة ، نام الثور الاحمر وحده . وكانت هى أيضا آخـــر مـــرة ، ففـــى منتصـــف الليل ، سمعت أصوات استغاثة عند شاطىء النهر . لكن أحدا لم يعرف أنها كانت اســـتغاثات الثور الاحمر ، الا عندما اشرقت الشمس ، وشوهد تعاليبو وهـــو يفـــطر بالبقـــايا التى خلفها الأسد الامبراطور ! ! .

وفى اليوم التالى . . .

كان الأسد (أبو لبدة المدهش) سعيدا غاية السعادة ، فأنعم على تعاليبو بوسام الموز الاخضر ، بينما همس (تعاليبو) ضاحكا :

ـ يامولاى . . انتظر حتى تكتمل الخطة .

فضحك الاسد وقال :

ـ أنا واثق من عبقريتك يا (تعاليبو) فخذ الوسام ولا تفسد فرحتى ! . .

فشكره تعاليبو وقال :

ـ استعد يامولاى ، فالليلة سوف تكسر العصا الاخرى ! ! وقبل أن يعترض الاسـد ، قال تعاليبو بسرعة مستدركا « أقصد الثور الثانى يامولاى » ! ! !

وهذا ماحدث بالفعل . .

فقد دب الخلاف بين الثورين الابيض والاسود وأخذ كل منهما يحمل الاخر مسـئولية موت ثالثهم ـ الثور الاحمر . .

قال الثور الابيض وهو يلوم رفيقه بشدة :

ـ لقد اسأت اليه ، انت السبب فى قتله ! . .

فرد الثور الاسود غاضبا :

ـ ولكنك كنت السبب فلولا اصطدامك بى لما سقطنا معا ولما وجد نفسـه فـائزا رغمـا عنه ! .

فخار الابيض غاضبا :

ـ وهل كنت أنت أعمى حتى تعترض طريقى ؟ .

فنطحه الاسود صائحا :

ـ أنت الذى تعمدت ذلك ، ورفضت أن نستمع اليه لأنك كنت تكرهه وتكرهنى دائما .

وثارت الزوبعة وظل الثوران يتناطحان فى غضب ، حتى تكسرت قورنهما وسـال الدم ، وضعفت قوتهما ، فسقطا متعبين . ولما استردا جزءا من قوتهما ، مضى كل واحد منهمـا مبتعدا عن رفيقه إلى غير رجعه !

○

وفى منتصف الليلة التالية . . .

سمع الجميع صوت استغاثة مفجعة ، ولكنهم جميعا عرفوا هذه المرة ، أنها اسـتغاثة أحد الثورين ـ وتساءل كثيرون ؟ ! من منهم كان الضحية فى هذه الليلة ؟ !

وفى الصباح ـ كان الاسد سعيدا غاية السعادة ، فالان لم يبق سوى ثور واحد ، لاخـطر منه . .

وضحك تعاليبو :

ـ والان يامولاى مارأيك ؟ هل زال الخوف ؟ . بعد ان كسرت حزمة العصى كلها واحـدة واحدة .

فرد الاسد :

ـ أى حزمة ؟ ياتعاليبو ؟ . هل ستعود مرة اخرى للتحدث بالألغاز ؟ . انا لا افهم ماتعنى بحكاية العصى هذه ؟ .

فقال تعاليبو يائسا :

ـ لا يهم ان تفهم شيئا على الاطلاق يامـولاى فنحـن هنا لنفهـم نيابة عنك المهـم أنك تخلصت من أعدائك الثلاثة جميعهم ولم يعد هناك مايهددك . .

ولكن الاسد قال :

ـ الثلاثة ! . . كيف ؟ !

إن الثور الابيض مازال مطلق السراح . . .
ولكن تعاليبو ضحك وقال : ـ
ـ الابيض ؟ ! . . وهل تظن أنه سيهرب إنه سيأتى اليك صاغرا مستسلما لانة يعرف تماما أنك اكلته فى اليوم الذى اكلت فيه الثور الاحمر ! ! .

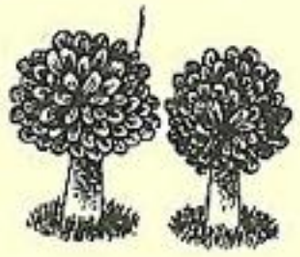

١٠ ـ مسائل هامة جدا

يقول مثل من أمثلة الغابة التى توارثتها الوحوش جيلا بعد جيل ، وعرفها الصغير عن الكبير ، أن (الأعور بين العميان بصير ويفوز باللحمة المكير) ولهذا فإن تعـاليبو وقـد استطاع التخلص من منافسة اللدود (بوليذياب) ونجح فى تخليص الامبراطـور أبولبدة المدهش من خطر الثيران الثلاثة ، أصبح طريقه إلى قلب الأسد وعقله مفتوحـا ولم يكن (تعالييو) غبيا لتضيع من بين مخالبه الفرصة ليكون مقـدما حتى على (لبلب دبدوبة) مستشار الأمبراطورة و (بوليشناب) حامل أختام العرين أو غيرهم مـن كبار حيوانات البلاط الامبراطورى وبلغ من سلطانه على البلاط وعلى الغابة أنه فى الوقـت الذى كان فيه الأسد المرعب لا يبت فى أى أمر دون الرجوع إليه . . كان هو يبت فى أمور كثيرة دون أن يرجع إلى الأمبراطور . . ذلك لأن الامبراطور كان قد بدأ يمل من تلك القـوانين التى

ابتدعها بنفسه يوم تولى العرش والخاصة بتنظيم الافتراس وكان يريد التراجع عنها دون أن يقول أحد أنه تراجع عن تطبيق العدالة والسلام بين الحيوانات . . ولم يكن هناك أحد غير (تعاليبو) يستطيع أن يخلق مبررات كافية لتعطيل تلك القوانين أو حتى إلغائها تماما فهو الحكيم المكير الذى كان بالتمرد على تلك القوانين والسخرية منها خبير . !

ولكى يضمن الامبراطور أن أحدا لن يشوه تاريخه . . كلف (تعاليبو) بتشكيل لجنة لتسجيل وكتابة قصة حياته . . وجمع تعاليبو الخبراء والعلماء من ذوى الأعراف الذهبية ومن ذوى الرؤوس الصلعاء ، فكانوا يجتمعون كل صباح ومساء ويحدثون ضجة عظيمة تتلاءم مع خطورة ما يفعلون وما يكتبون . واستمر عملهم ليلا ونهارا لمدة طويلة جدا حتى بلغت كمية ما استخدموه من حبر قدر ما يسقط على الغابة من أمطار فى نصف يوم من أيام الموسم المطير ، وملأت أوراق الموز والبردى المنسوخة والمكتوبة والمصورة عددا من الحجرات العالية والمخازن المسورة . وكلها تؤكد سمو وكرم أخلاق الامبراطور ابولبدة المدهش وإيمانه بقدرة الحيوانات على صنع المعجزات وقدرته هو شخصيا حتى على احياء الاموات .

○

وفى تلك الأيام الخطيرة من تاريخ الغابة ، حيث كانت اللجان مشغولة بإقناع الأجيال القادمة بعظمة الامبراطور وتخليد أعماله وكانت لجان القوانين تصوغ وتعدل ما تصوغه ثم تعود لتصوغ ما تعدله وكانت لجان التاريخ تدون وتناقش ما تدونه ثم تعود لتدون ما تناقشه والجميع يحسون بمدى المسئولية الملقاة على عاتق الجميع وكانت المهام جسيمة والأجسام مهتمة والتاريخ مشرئب للتسجيل والتخليد ـ كان الامبراطور نفسه مهموما ومشغولا عن كل ذلك بأمر ركب رأسه وكبر فى مخه ، حتى حرم عليه النوم

وأورثه القلق والتوتر ، فقد كانت لبدته وألف موسى أو كما يقـولون بلغتنا رأسـه وآلف سيف ، أن يحصل على ذلك البيت الجميل الرائع الصغير الذى يملكه شيخ القـانونجية وخبير التعديلات الدستورية (الحمـار كار) . على شـاطىء نهـر الخيار وازعج هـذا تعالييو جدا إذ كيف الوصول إلى صيغة للاستيلاء على البيت وصاحبه هو المتخصص فى وضع هذه الصيغ ، وكيف يمكن التلاعب لنزع ملكيته بشكل قانونى معقول . . وصـاحبه هو الذى يضع الاطارات القانونية لأى تلاعب قانونى مقبول ! ! .

وقد حاول تعالييو أكثر من مرة أن يلمح (للحمار كار) برغبة مـولاهما السـامية فى الاستيلاء على البيت ولكن الحمار كان على عادته ـ من الغباء بحيث فهم الأمـر مقلوبا وأرسل برقية يشكر فيها الامبراطور على اِهتمـامه براحـة رعيته واعجـابه ببيوتهـم المتواضعة .

وحاول (تعالييو) أيضا من ناحية أخرى صرف نظـر الامبراطـور عن البيت المذكور دون جدوى فقد دخل خيال هذا البيت الكائن فى منطقـة التوت البرى والغـزلان المرحـة نافوخ الامبراطور ولن تخرجه منه أو تصرفه عنه دقات الطبل البلدى . .

وأمام إلحاح الامبراطور لم يجد (تعالييو) بدا من التفكير فى وسيلة يصادر بهـا بيت الحمار للمصلحة العامة ألامبراطورية . أو العثور على طريقة تجعل الحمـار يتخلى عن بيته طواعية واهدائه للمدهش .

صدر أمر برفع مرتب الحمار ونصيبه من البرسيم الأخضر المستورد كما أخليت درجة ممتازة من درجات سلم العرين لجلوسه ، ولكن الحمار لم يفهم إشارة (تعالييو) الخفية إلى رد جميل الامبراطور وشكره : بتقديم هدية ، وكأن له دماغا حجرية وأذنا غبية .

ولم يجد تعالييو أمام إلحاح الامبرَاطور وغباء الحمار إلا اللجوء للحيلة لانهـاء هـذا الأمر السخيف فتحين الفرصة ـ وهو القادر على خلق الفرص ـ وأحرج الحمار وتحداه

فى سباق جرى علنى تحت رعاية الامبراطور يكون على المنهزم فيه . أن يحقق للمنتصر رغبة واحدة مهما كانت . . ووقع الحمار فى الفخ فقبل التحدى وأعلن أنه متأكد من انتصاره لدرجة أنه سيحقق للثعلب لا رغبة واحدة ولكن رغبتين أو ثلاث إن أراد ، يعنى إذا انتصر !

وعلم الامبراطور المدهش بالأمر فازداد قلقه واتهم تعاليبو بالغباء ليدخل فى سباق مثل هذا مع اكثر الحيوانات عدوا واكبرهم سرعة ، بفضل حوافره وجبنه . ولم يعجب تعاليبو أن يصفه الامبراطور بالغباء أمام آخرين ـ وأسرها فى نفسه ، لكنه صمم على الفوز فى السباق ـ أولا : ليثبت للجميع وللامبراطور بالذات أنه ليس غبيا . وثانيا : لكى يزيد من أفضاله على الأمبراطور ، وليقطع آخر حبال الشك فى أنه عماد دولة أبو لبدة . . وأن ذكاؤه يمثل دماغها المفكر الذى لا غنى عنه ـ حتى فى أتفه الأمور التى يعجز أمامها الامبراطور .

○

وجاء موعد السباق ، فكان على كل من الثعلب والحمار أن يقطع مسافة معينة مخترقا الغابة حتى نهايتها ثم العودة ـ أحدهما بالدوران يمينا والآخر بالدوران شمالا حول الغابة ، والعودة الى حيث لجنة التحكيم ـ التى يرأسها الأمبراطور نفسه .

وأرسلت بعض الطيور لترافق كل منهما كشهود على أن احدهما لن يتوقف مرة واحدة وللتأكد من أن كل منهما قد قطع السباق من نفس الطريق المرسوم وبلا خداع . .

لم يكن الامبراطور مطمئنا تماما وهو يعطى إشارة البدء فقد كان الحمار مرحا واثقا من نفسه اكثر من العادة بينما كان تعاليبو مهموما ومنخفض الروح المعنوية . وكان هذا صحيحا فقد كان وصف الامبراطور له بالغباء أمام الأخرين يضايقه تماما ـ لدرجة أنه نسى أن يرتب أموره مع الشهود كالعادة .

وانطلق المتسابقان النبيلان بعد أن أعطى الامبراطور الاشارة وانطلق الشهود من الطيور تتابع السباق من السماء ، وبعد فترة قضاها فى عقد مراهنات متعددة مع رعيته حول الفائز ، وكان واثقا من فوز تعاليبو رغم ثقته فى قدرة الحمار على الجرى السريع . وصاح الامبراطور فرحا عندما لمح الثعلب عند المنحنى يدور متجها اليهم وهو يلهث متعبا . ولكن هذا لا يهم فالمهم أنه قد وصل أولا . . وبعد لحظات ظهر الحمار من الناحية المقابلة ولكنه كان يبذل غايه ما فى وسعه ليصل فى نفس الوقت الذى وصل فيه تعاليبو . .

واغتم الملك ولكنه مال جهارا نهارا إلى جانب اعلان فوز تعاليبو وأعطى الشهود من الطيور تقاريرهم فإذا بها مفاجأة لم تعجب الامبراطور فزمجر غاضبا منذرا . .

كان تقرير مراقبى تعاليبو يؤكد أنه وقف مرتين ليستريح فى الطريق بينما قال تقرير مراقبى الحمار أنه توقف لمرة واحدة . .

غضب الامبراطور من تعاليبو وطالبه مزمجرا بتفسير سبب وقوفه وصمت المحكمون خائفين وقال تعاليبو :

أنا لم أقف لأستريح ابدا . . على العكس أن المرتين اللتين وقفت فيهما يجب أن تحسبا لى كنقط أفوز بها على خصمى فإننى لم أتوقف إلا لأننى مهموم مشغول بأمور الغابة والحياة . . لقد وقفت بالفعل ويشهد الشهود أن ذلك كان فى منطقة مليئة بالشجر الطويل والشجر القصير وقد حيرتنى هذه المشكلة كثيرا لدرجة أنه حتى الأن لا أجد لها حلا .

وعلينا جميعا أن نفكر سويا لتفسيرها حتى لا تحير أبناءنا فيما بعد

قال الأسد :

ـ وما هى هذه المشكله التى جعلتك تخسر السباق ؟

قال تعاليبو :

ـ أنا لم أخسر بعد يامولاى . . فيجب أولا أن تقرر لجنة التحكيم ذلك . . هذا هو العدل . . ولجنة التحكيم لم تقرر ذلك لأنها الان ستحتار مثلى فى حل تلك القضية . !

قال أحد أعضاء اللجنة :

ـ وما هى تلك القضية ؟ .

قال تعاليبو بهدوء :

ـ إن الطريق كانت حوله الأشجار الطويلة والقصيرة بشكل غريب لدرجة جعلتنى أسأل،أقصد أتوقف لأسأل . . لماذا هذه الأشجار طويلة وتلك الأشجار قصيرة ؟ . . ولماذا لا تكون الأشجار القصيرة طويلة والأشجار الطويلة قصيرة . ؟ ! . .

وإحتار الجميع فعلا وحتى (الحمار كار) خبير التبرير والتفسير لم يجد أى إجابة ولا أى تعبير . .

ولكن أحد المحلفين قال :

ـ هذه وعرفنا سببا معقولا لتوقفك فى المرة الأولى ، فما السبب فى الوقفة الثانية . ؟

قال تعاليبو بهدوء :

ـ لقد كانت مشكلة فى المرة الثانية اكثر تعقيدا . . والسؤال أكثر تعقيدا فقد ظهر أمامى أرنب يسابق غزالا واضطررت للتوقف والتفكير فى أذنى الأرنب الطوليتين وأذنى الغزال القصيرتين . فلماذا لا تكون للأرنب أذنين قصيرتين وللغزال أذنين طويلتين . . والحقيقة أيها السادة . . أنه لولا إحساسى بضرورة الفوز إرضاء لجلالة الامبراطور الذى أعرف أنه راهن على انتصارى . . لبقيت هناك حتى الأن أفكر فى مشكلة أذنى الأرنب وأذنى الغزال . .

وهنا صاح الامبراطور معلنا أنه يعذر تعاليبو الذى لم يمنعه السباق ولا التعب من التفكير فى هذه المشاكل والمسائل التى تهم الجميع . . ثم أضاف :

ـ فهل يستطيع السيد (حمار كار) أن يفسر لنا سبب وقوفه أثناء السباق إلا إذا كان قد وقف ليستريح أو ليأكل برسيما . طبعا ليستطيع الفوز بأى شكل . . . وإلا فليقل لنا لماذا توقف ؟ . هل يصدق أحد أنه يعرف هو الآخر نعمة التفكير ؟

ثم زار زأرة ارتعشت لها سيقان الحمار الاربعة وشل بها تفكيره فقال فى ضعف وخوف :

ـ يامولاى . . نعم لقد . . كنت . . . أيضا . . افكر . . . .

فقاطعه الأسد أبولبدة المدهش غاضبا . .

ـ فيم كنت تفكر ؟ . . وكيف تجرؤ على التفكير فى هذا ؟ .

قال الحمار مرتعشا :

ـ فى ماذا ؟ . . .

زأر الأسد :

ـ فى الذى كنت تفكر فيه ؟ . هه كيف تجرؤ . ؟

فارتعش الحمار ومات رعبا

ـ أنا لم اكن أفكر فى شىء . . يامولاى . . .

وهنا إبتسم الامبراطور ساخرا وقام وهو يقول لأعضاء لجنة التحكيم :

ـ وهكذا ترون أيها السادة أنه بينما يشغل عزيزنا تعاليبو نفسه حتى وهو متعب ومرهق بقضايانا المهمة . . كان هذا الحمار يحاول الفوز بالغش والخداع فيقف ليستريح . . وتريدون بعد ذلك أن تناقشوا فوز تعاليبو لا أظن . .

ومضى الامبراطور إلى العرين تاركا لجنة التحكيم مرتبكة حتى فتح الله على رئيسها معلنا فوز تعاليبو وسط هتاف من راهنوا عليه . . ! .

وكان على الحمار أن يحقق لتعاليبو . . ما يريد . . ونام الامبراطور أبو لبدة المدهش مطمئنا لأن تعاليبو يعرف ما يريد . ! !

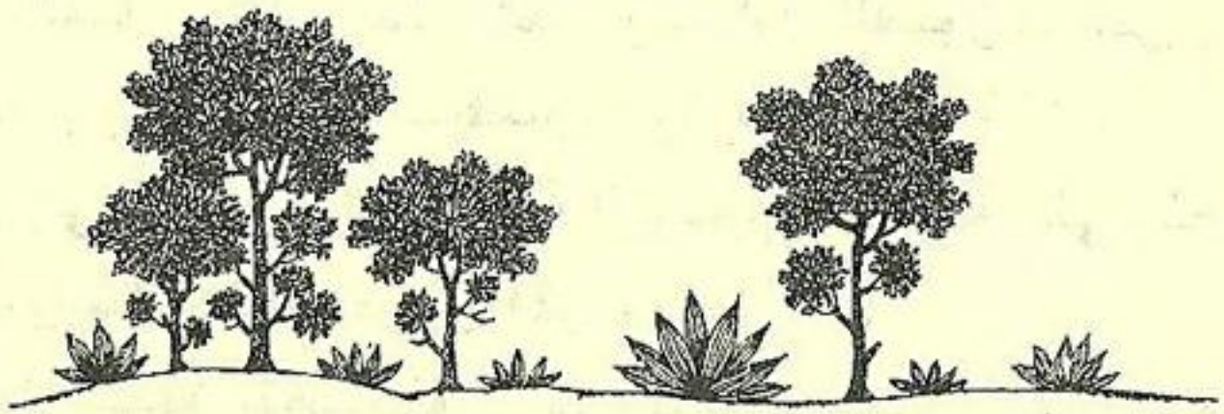

١١ ـ إشاعات امبراطورية

لم يكن يوم (الحمار) هو اليوم الأول الذى أحس فيه تعـاليبو باهـانة الامبراطـور ابو لبدة المدهش له ، ولم يكن كذلك أخر يوم يحس فيه بذلك بل لقـد زاد إحسـاسه مـع الأيام بأن الأسد يتعمد إهانته أمام الأخرين . لم يكن تعـاليبو بالغبى الذى لا يسـتطيع تفسير ذلك ، فالامبراطور بدأ يغار منه وبدأ يخشاه ويخشى نفوذه . فقصـائد الاعجـاب بتعاليبو تملأ صفحات جرائد الموز ومجلات جوز الهند . والحقيقة أن تعاليبو كان محط إعجاب الكثيرين والكثيرات وأولهم الامبراطورة منذ عوضـها عن الكنز المزعوم بمـائة كنز حقيقى . .

وبينما كانت اهتمامات الأمبراطور تتدنى وتهيف ، إذ بدلا من قوانين الافتراس العام والعدالة والسلام فى ربوع الغـابات وبين الحيوانات أصـبح مهتمـا ببيت الحمـار كار

الصغير الكائن على نهـر الخيار . صـحيح أنه حـــافظ على بعض وعوده بالنســـبة للحيوانات الصغيرة ، فكانوا يجدون الطعام إذا جـاعوا ولم يجـدوا طعـاما . . وكانوا يجدون الأكفان إذا ماتوا فقراء وكان أولادهم يجدون معاشا مناسبا بقدر الامكان . كما أنه رفض بشدة إى إنتقاص لحقوق أرامل شهداء الغابة من خدم العـرين السـابقين ، وخاصة من ماتوا أثناء قيامهم بواجباتهم الرسمية فظل إعفاءهم من الضرائب ساريا ، مثل الأرنبة العجوز زوجة سائس الامبراطـور الذى قتله تعـاليبو غدراً أيام المطـاردة الرهيبة ـ وغيرها كثيرات وغيرها كثيرون . ولكن كل ذلك لم يمنع من انتشار إشـاعات كثيرة ، تقلل من هيبة الامبراطور فى الوقت الذى ظل تعاليبو ـ حتى الأن ـ محافظا على هيبته ووقاره اللائق بالنسبة للخادم الأول للامبراطور وللعرش . . لدرجة أن الامبراطور أصبح يخفى عنه الكثير من مغامراته الشخصية فى الصـيد والقنص واللهـو . ولم يكن تعاليبو من ناحيته يرحب بمشاركته عبثه خوفا مـن الامبراطـورة التى كثيرا مـا كانت تسأله فكان ينفى علمه بها ـ وكان صادقا وبريئا .

ولكن صبر تعاليبو له حدود أيضا . . ولذلك فتكرار إهانة الامبراطور له ، بدأ ينمى لديه رغبة فى الانتقام الخفيف لتنبيه الامبراطور ، ومنعه من التمادى وخاصة بعدما حـدث فى حفل عيد ميلاد الامبراطور ـ الذى أقامه فى السهل الممتد أمام ذلك المنزل الذى كسـبه فى سباق تعاليبو والحمار .

يومها سخر الأمبراطور ـ مرة أخرى ـ من تعاليبو علانية وأمام الجمـع الكبير مـن أصحاب المخالب والانياب والنفوذ الذين دعيوا من الغابة والغابات المجاورة ليشـاركوا المدهش عيد مولده العظيم .

○

كان الاسد يومها من غاية السعادة وكأنه ولد لأول مرة فـأخذ يوزع مـداعباته ونكاته

على الجميع . . يلعب مع الصغار ويمزح مع الكبار ، ويلقى فكاهات سخيفة لا تضحك أحدا ـ ينفجر لها الجميع ضاحكين حتى طوب الأرض والجدور العمياء .

ورغم أهتمام الجميع به ، فان تعاليبو عندما وصل أستقبل بعاصفة من التصفيق لمدة دقائق متواصلة . . مما جعل الامبراطور يمضغ قلبه المرتجف غيره وغضبا لكنه إبتسم ورحب به ودعاه إلى الجلوس إلى جواره وهو يغلى .!!

وعندما بدأ الرقص كان تعاليبو بخفة حركته واناقته المعهودة نجم الحفل بحق ، فسرق الأضواء من الامبراطور مرة إخرى . وعندما إبتدأ يرقص مع الماعز الجبلية البيضاء رقصة علمتها له لأول مرة فلفتت معه الانظار جميعها ـ صاح الأسد فى صوت حانق سمعته حتى جرذان المطبخ والسحالى جالبة الماء . . وهو يحاول الظهور وكأنه يداعب صديقه :

ـ جميل ! ! يا وزيرى العزيز ـ جميل ! ! ولكن لو كان ذيلك فى جمال ذيل صديقتك العنزة ومرفوعا مثلها لكان منظرك أجمل واروع . . .

وضحك الأمبراطور ، وطبعا ضحك الجميع مجاراة له رغم أن كثيرون قد أحسوا بالاهانة . . . وعاد الامبراطور يقول :

ـ أرايت ؟ إنك تبتسم لها من بين أنيابك . . ولكن تذكرأن هناك قانونا يمنعك من التهامها أمامى . . فلا تدفعك خفتها إلى التفكير فى فكرة خبيثة . . . حذار يا تعاليبو فالعنزة ضيفتى وليست بجاجة زوجها مغفل .! .

وضحك الأسد مرة أخرى . . فضحك البعض مجاراة ونفاقا . . ولكن الكثيرين ترددوا لأن الامبراطور يذكر تعاليبو بالماضى الذى نساه الجميع وأحس الامبراطور أنه فضح غضبة فاستدرك وقال :

ـ على كل حال سأسمح لك بالتهامها إذا هى لم تستطع أن تعلمنى رقصتها الجديدة . !

واعتبر الجميع هذا القول محاولة لازالة أثر الاهانة السابقة فضحكوا جميعا مجاراة لضحكة الامبراطور حتى الثعلب ضحك . . بالرغم من حرقة انفاسة التى كادت من شدة غيظة أن تحرق ذقن العنزة . .

وأنتهت السهرة ! .

ولكن تعاليبو ظل ساهرا يفكر فيما حدث وهو يأكل أظافره بعد أن جعل منه الأسد أضحوكة للجميع ، حتى جنادب البوابة وفراخ غيط الحمار ، ومتى ؟ فى حفل عيد ميلاده ، الذى جعله تعاليبو عيدا قوميا للغابة وأين ؟ فى بيت الحمار ، الذى كسبة تعاليبو له بجريه وتعبه ومكره .

ولم يعد قلب تعاليبو مثلما كان . . فهو لم يعد مطمئنا لرضاء الامبراطور الذى قد يغدر به فى أى وقت ، كما غدر بالكثيرين ممن خدموه باخلاص وتذكر موت (بولينياب) لهفوة بسيطه ، وانتزاع بيت (الحمار كار) لشهوة عبيطة وقتل الثيران الثلاثة لفكرة حويطة .

قرر تعاليبو أن يكون أكثر حذرا ، وأن يشتغل لحسابه قليلا حتى يضمن شيئا يستند إليه يوم يقلب له الامبراطور سحنته فيطرده من خدمته . ووضع خطة للانتقام البطىء عزم على أن يبدأها مع إشراقة شمس اليوم الأول من العام الجديد فى حياة الامبراطور المدهش أبو لبدة .

وما أن أشرقت شمس الصباح حتى كان تعاليبو مرتديا ثياب الرياضة ، واقفا فى نشاط أمام سرير الامبراطور ، يداعبه ويوقظة ليستقبل عامه الجديد السعيد . وأخذ يدغدغه متهما إياه بالكسل والاستسلام للسنوات قائلا :

ـ لا يامولاى ؟ لا . . ليس هذا طبع الشباب ! لا تترك أعداءك يتهمونك بالكبر

والشيخوخة ، اذا علموا أنك تريد أن تظل بفراشك حتى الظهيرة . . لا . . لا . . إثبت لهم أن الشباب يبدأ منذ اليوم وأنك مختلف عن كل الحيوانات لأن عمرك ينقص عاما كلما مر عام من حياتك ، على العكس منهم ، هيا هيا . . يا مليكى

وأقنع تعاليبو الأسد ـ وما أسهل ذلك عليه ـ حتى قام وأفاق وقد دبت فى عروقه فورة الشباب وروح المرح فارتدى ملابس اللعب والرياضة ليشارك تعاليبو اللعبة الجديدة التى قال له أنه استورد قواعدها من تقاليد الغابات الشمالية الغربية لتقوية أنياب الأسود والأسماك علمها له صديق من أسماك المنشار يعيش فى كهف الصخور النارية تحت الماء .

وما كان أسهل أن يصدق الامبراطور فما أكثر ما كان يندفع إلى تصديق كل ما يقوله تعاليبو فمضى معه مسرعا فى خطوات منتظمة قافزة راقصة وهو يهتف . . شمال يمين . . واحد أثنين ، حتى وصلا إلى سفح الجبل الشرقى حيث ساحة الألعاب المقامة على أحدث طرز ساحات الألعاب المعمول بها فى الغابات السويدية .

وأخذ تعاليبو فى ابتسامة المدرب المحنك ومرح المهرج المضحك وإقناع الصديق المقرب يشرح لعبته للسبع المدهش قائلا :

ـ هذه اللعبة يا مولاى اسمها لعبة « إمسك معى الكرة الحجرية » وطبعا لا بد أن يمسكها الواحد منا بالأسنان حتى تعود الفائدة على الأسنان بالذات ، وإذا سألتنى يا مولاى المحبوب ـ كيف يكون ذلك ؟ فإننى سأشرح لك حسب ما علمنى سمك المنشار الجبار . على أى واحد منا أن يصعد إلى أعلى الجبل ليختار كرة من الصخور النارية يقذفها بطريقة فنية إلى أسفل وعلى الأخر أن يستقبلها بأسنانه . . على شرط ألا يخطئوها وإلا احتسبت نقطة ضده ـ وهكذا . والفائز هو من يجمع أكبر عدد من النقط ! أرأيت ؟ غاية فى السهولة ! !

صاح الامبراطور كالطفل المرح الصغير :

ـ فهمت . . فهمت وسأبدأ أنا وسأغلبك . فلايمكن أن ينهـزم أبو لبدة . . هيا . . فـان اللعبة قد استهوتنى جدا ـ بالاضافة إلى أن شهيتى مفتوحة بطريقة أسـماك المنشـار السفاحة يا صديقى . . . وانطلق الامبراطور يصـعد الجبل ليبدأ اللعـب . وبينمـا كان يختار صخرة كروية صالحة ، كان تعاليبو يبحث لنفسه عن مخبأ كروى صالح ليحتمـى فيه فى اللحظة المناسبة .

وصاح الأسد بعد أن استعد بالكرة الصخرية مناديا زميله :

ـ هل أنت مستعد يا تعاليبو ؟ .

وصرخ تعاليبو من أسفل وقد أظهر نفسه له فاتحا فمه :

ـ نعم يامولاى . . عد حتى ثلاثة والق بها . .

وألقى الامبراطوز بالكرة الصخرية . . فاندفعت تتدحرج مثيرة زوبعة من الغبار أخفـت الثعلب عن نظر الأسد . فانتهزها الثعلب فـرصة ولجـا الى مخباه الأمين مبتعـدا عن طريقها ، وبعد أن استقرت انطلق يمسك بها بين أسنانه مظهرا نفسه للامبراطور ، طالبا إحتساب نقطة لأنه تمكن من التقاطها ولم يرق للأسد أن يسـجل تعـاليبو نقـطة أو أن ينجح فى التقاط الكرة ، وصمم على أن يثبت أنه أقدر منه وأحق بتسجيل نقطتين لا نقطة واحدة . . فاسرع يبادله مكانه وهو يقول :

ـ أنت لك نقطة ، فخذ كرة اكبر لأننى أريد تسجيل نقطتين فى كل مرة . .

وطبعا كان على تعاليبو أن ينفذ رغبة مولاه وأوامره فاختار كرة تليق بمقامه وأرسـلها نحو فمه المفتوح على آخره هناك أسفل الجبل . وأخفى تعاليبو ابتسامته وهو يشـاهد امبراطوره يبذل جهده لكى يثبت أنه أقـدر منه فى الامسـاك بالكور الحجـرية فـاندفع ليصطدم بالكرة اصطداما ملكيا يليق بأسـد لكنه زأر زأرة تليق بمـا حـدث له عندمـا

اصطدمت بقمة أنفه مباشرة . وبصعوبة شديدة أخفى ألمه لأنه لا يليق بالامبراطور أن يكون أقل من ثعلبه جلدا واحتمالا ، لكنه مهما فعل فلم يكن يستطيع أن يخفى تلك « البالونة » التى برزت فى قمة أنفه حمراء زرقاء مؤلمة تليق بأسد فى لعبة الامساك بالكور الحجرية ! !

○

والحقيقة أن هذه كانت بداية فبالرغم من أن الامبراطور فشل فى اختلاق تبرير لظهور هذه الكرة ، وبالرغم من امتناع تعاليبو عن تقديم تفسير يساعد الملك فى الاجابة على من يسأل عنها . . الا أنه أظهر شجاعة امبراطورية فى احتمال الألم وان كان قد فشل تماما فى منعه من الانتشار فى رأسه فاضطر للاعتكاف أياما طويلة لم يسمح بمقابلته فيها الا لأقرب المقربين من أهل العرين .

ومضى تعاليبو بطريقته ينشر عددا من الشائعات حول إعتكاف الامبراطور وحول بالونة أنفه المثيرة للتساؤل ، فقد قيل وانتشر القول : أن الامبراطور أصيب فى معركة مع الامبراطورة ولكن لا احد يؤكد ذلك أو ينفيه . ومن يجرؤ ؟ !

ـ وقد قيل وانتشر أن الامبراطور كان متوجها لأحد كهوفه السرية ذات ليلة فوجد به وحشا خرافيا تشع عينه فى الظلام وله قرون مهولة وظلال فظيعة وصوت رهيب وان الوحش نطحه نطحة قاسية فانطلق خائفا مذعورا حتى قابل الثعلب فوصف له الوحش الذى نطحه . ففهم الثعلب أن الوحش المرعب ليس سوى عنزة تائهة ماكرة استغلت الظلام لتخيف الامبراطور . . ولكن الامبراطور رفض أن يصدق الثعلب . وكيف يصدق ابو لبدة المدهش أنه خاف من عنزة . أو أن عنزة هى التى تركت علامة مثل هذه فوق أنف الأسد .

ـ وقيل ايضا وانتشر أن ظهور تلك « البالونة » المؤلمة البارزة كالزلطة فوق مقدمة أنف

الامبراطور ليس سوى نتيجة سخرية أحد الثعالب ـ من أبناء عمومة تعاليبو المتمردين من الأسد عندما طارده الأخير وهو يسرق أحد مخازنه . .

وهى قصة طريفة لو صحت لأصبحت نكتة ترويها أجيال بنى الثعالب سخرية من بنى الرئبال .

فالحكاية تقول أن الامبراطور شاهد ثعلبا متشردا يسرق عسلا من احدى خلايا النحل التى يملكها . ولما هجم عليه ليمسك به سخر منه الثعلب وانطلق هاربا وصمم الامبراطور على مطاردة ذلك الثعلب المتشرد بنفسه : أولا لينتقم منه بسبب سخريته . وثانيا ليتخذ من قصته سببا لتوبيخ « تعاليبو » على أفعال أهله وابناء عمومته المتشردين . فانطلق خلفه حتى عرف بيته ولكن الثعلب أفلت منه وتظاهر الأسد بالعودة والكف عن المطاردة ثم استدار ودخل بيت الثعلب وجلس ينتظر عودته وهو يظن أنها خدعة عظيمة سترويها الأجيال .

لكن الثعلب المتشرد عندما عاد الى بيته رأى آثار الأسد الداخلة إليه ، ولم ير أثار أقدام خارجة منه ففهم الموقف وقرر السخرية من الامبراطور فنادى هامسا لبعض الحيوانات والطيور الصغيرة لتشهد ذلك الموقف الظريف الذى أوقع الامبراطور نفسه فيه . ! .

ثم تقدم الثعلب من البيت وصاح .

ـ مساء الخير يابيتى العزيز . . لقد اشتقت اليك كعادتى كل يوم فكيف حالك . ؟

وطبعا لم يرد البيت عليه . فقال معاتبا :

ـ لم لا ترد على يابيتى العزيز لقد عدت إليك مرة أخرى . . ولابد انك مشتاق لى كما أنا مشتاق اليك . .

استمر البيت صامتا طبعا ، فالبيوت لا تتكلم ، لا بيوت الثعالب ولا بيوت الحواديت . .

وكتم كل حيوان وطير هناك أنفاسه وضحكته لأنهم جميعا أدركوا مايريده الثعلب الذى جعل صوته حزينا وقال :

ـ لماذا لا ترد على يابيتى العزيز . . ألم تعجبك تحيتى . . سأزيدها من أجل خـاطرك . . ألف مساء الخير وليكن نهارك وليلك سعيدا . . ولكن لماذا لا ترد على . . هل أنت غاضب منى ؟ كنت دائما ترحب بى عندما أعود لابد أنك غاضب ولذلك سـاذهب لأبيت فى مـكان آخر ان لم ترد على

ووقع الامبراطور المرعب أبو لبدة فى الفخ كأى أحمق . . شرب المقلب كاملا . . وحـاول بكل مايستطيع تقليد صوت البيت . وبالذات تقليد صوت بيت الثعلب قدر امكانه وقال :

ـ انا لست غاضبا منك ياصاحبى . . مساء الخير . .

وطبعا انفجر الثعلب المتشرد واصدقاؤه من الحيوانات والطيور الصغيرة فى الضحك لأن صوت الأسد يظل دائما يشبه صوت الأسد حتى عندما يحاول تقليد صوت بيوت الثعالب وصاح الثعلب المتشرد ساخرا

ـ يالك من امبراطور غبى . . هل صدقت حقا أن هناك بيوتا يمكن أن تتكلم ؟ ! . .

وخرج الأسد مزمجرا غاضبا يود تمـزيق الثعلب ففـوجى بذلك الجمـع الكبير مـن الحيوانات الصغيرة والطيور يستقبله ساخرا ، فكاد يموت من الخجل لظهـوره بمـظهر الأحمق الغبى . . متعثرا فى ذيله وهو يتلفـت وراءه حتى ابتعـد قليلا ثم انطلق مهـرولا فمحاولا الاختفاء فاصطدم بشجرة صلبة تركت علامة سخريتها هى الأخرى على قمـة انفه .

. . . . . .

وقيل . . وقيل . . . وقيل . . . اشاعات وحـكايات . . . كانت تصـل الى أسـماع الأسـد المريض المتألم فيغلى من الغيظ والغضب ، وهو يلعن اليوم الذى فكر فيه أن يصبح بطلا فى لعبة الكرات الحجرية ! .

١٢ ـ سكين الأرنبة العجوز

كان تعاليبو يؤمن بالحكمة التى تقول :

ما طار طير وارتفع الا كما طار وقع . . ولكنه للأسف كان يظـن أنهـا لا تنطبق الا على الطيور . . ولم يفهم رغم ذكائه أنها تنطبق أيضا على الثعالب . . فظل حتى اللحـظة الأخيرة يؤكد لنفسه أنه ما من أحد فى الغابة ـ حتى الأمبراطور نفســه ـ يســتطيع أن يقف فى طريق عبقريته وذكائه . . . ولكنه أيضا كان من الدهاء ليفكر فى نفســه قليلا وفى ضرورة أن يؤمن مستقبله خوفا من غدرة مفاجئة أو غضبة مباغتة . . خاصة بعد أن تأكد أن الأمبراطور قد بدأ يشك فى مسئوليته المباشرة عن موجة الاشاعات والاهــانات التى تتهامس بها طيور القاق الثرثارة . وقد لمح له ذات مرة أن مثل هذه الحكايات لا يخترعها الا عقل ثعلب داهية .

وبدأ تعاليبو بالفعل فى تنفيذ خطة طويلة المدى لتكوين ثروة ، وخطة عاجلة لتهـريب كل ما تستطيع يديه الوصول اليه واخفائه بعيدا عن الأنظار ، ولم يكن الأمبراطور من الغباء بحيث لا يحس بذلك . . على العكس لقد عرفه وشجعه لأنه كان متأكدا مـن أن تعـاليبو (العفيف) إذا بدأ طريق البحث عن المال وجمعـه وتهـريبة فإنه لن يتوقـف وسـيزداد جشعا يوما بعد يوم وأن زيادة جشعه ستقل من حذره وتضـعف مـن هيبته ، وذلك لأنه سوف يرتكب أعمالا كثيرة تحط من شأنه ولن يتوقف حتى تنفجر بطنه مـن التخمـة ، فمن يشرب من ماء البحر المالح لن يرتوى ابدا . !

وبالفعل هذا ما حدث يا من تقرأون هذه السيرة الحيوانية التى عانيت الأمرين طـوال عشر سنوات أو أكثر فى جمع وثائقها ودراسة مراجعها ، التى أصـاب معـظمها التلف بسبب الأهواء والتقلبات السياسية ومؤامرات اصحاب المصالح والغرائز الحيوانية . .

فكثير من رقائق قلف الأشجار التى دونت عليها بواسطة طيور نقـارى الخشـب قـد أتلفت عمدا أو تلفت بفعل الأمطار أو النمل الأبيض أو الفطريات . . كمـا أن كثيرا مـن دوريات مجلات الموز الأخضر قد اختفت عمدا أو أخفيت أو ضاعت صـدفة . . وإذا كان من الصعب تتبع سيرة إنسان على هذه الدرجة من الأهمية فى أى دولة فإنه من الأمـور الأكثر صعوبة تتبع سيرة ثعلب له صفات وقدرات ومكانة تعاليبو فى أى غابة .

فأنت لا تضمن بقاء أعدائه اعداء أو أصـدقائه أصـدقاء ولذلك فـالأحداث والروايات تضطرب وتختلف وتتضـارب وعلى المؤرخ وعالم التاريخ الحيوانى أن يخمـن اشـياء كثيرة وأن يعيد ربط العلاقات ويجتهد فى صياغة المهـوش وتوضـيح الغـامض وترتيب المضطرب حتى يجد القارىء بين يديه فى النهاية حكاية أو رواية مسلية وممتعـة وبهـا حكمة . . كانت هذه فكرتى لكتابة هذه السيرة ولذلك كان تعبى شديدا . ولكن كتابة قصة

حياة تعاليبو وسيرته حتى الآن كما يقولون فى قريتنا كانت كوما وكتابة الفصل الأخير كانت كومين . . لأنه من السهل أن تعثر على وثائق وحكايات عن ثعلب يشق طريقه نحو قمة المجد والسلطة ، فهناك كتب كثيرة ودوريات وأخبار وخطب وبرقيات ورسائل جامعية تتحدث عنه وتتخذ من حياته وافعاله واقواله مادة للبحث وللتأمل . . على عكس ما قد تجده عن الثعلب نفسه فى بداية أفول نجمه وتزايد الساخرين منه والشامتين فيه لضياع النفوذ وتكاثر الاعداء الذين يريدون الانتقام لمشاعر الغيرة التى أكلت قلوبهم منه أيام سعده ومجده . .

على كل حال . . فأنا قد لجأت لبعض الخيال القصصى لمحاولة صياغة قصة مقتله المفاجىء حتى تبدو منطقية ومتصلة بقصة حياته وأعماله . . مستعينا ببعض الروايات الغامضة ومانشتات الصحف المعادية . . وحكايات العجائز من سلاحف الماء والبرارى ، كذلك مستعينا بخرافة ساذجة كانت تحكيها لنا جدتنا العجوز التى لم تكن تكره فى حياتها شيئا قدر كراهيتها للثعالب وكانت تصورها دائما على انها بشر سخطهم الله العظيم المنتقم بسبب أعمالهم الشريرة التى لم تترك طيرا أو حيوانا أو بشرا الا وسخرت منه أو سرقته دون أن تفكر مرة واحدة فى فعل شىء طيب . . . على كل حال ليس هذا مجال تحليل عقد جدتى النفسية أو محاولة بحث وتفسير كراهيتها للثعالب . . فهذا شأن المهمتين بالعلاقات بين الحيوان والانسان أما نحن فما بقى لنا سوى ان نختتم هذه السيرة العجيبة والأحداث الغريبة بما استطعنا الحصول عليه والوصول اليه بكثير من البحث والتعب وقليل من الخيال . !

○

ذات صباح عادى كأى صباح عادى آخر وعند أحد المنحنيات الخفية لدرب من دروب

الغابة المظلمة ـ وهو درب قريب من النهر حيث تعيش وتتجمع فى أوكار واعشاش وحفر فقيرة قبائل كثيرة العدد من الحيوانات والطيور الصغيرة الضعيفة ـ وجدت جثة تعاليبو مذبوحه . وكأنما تفجرت ساعتها فى الغابة قنبلة من العـواء والصراخ والزعيق والزبير والنباح اذ طارت الطيور ولم تهبط وهاجت الحيوانات ولم تهدأ وقامت الدنيا ولم تقعد . كان الجميع يتحدثون دون أن يهتم أحد بسماع أحـد . وكان الجميع يهـرولون دون ان يعرف اى منهم إلى أين يذهب . . كان حادثا تاريخيا رهيبا . . .

وقيل يومها كلام كثير حول مقتل تعاليبو . .

قال البعض ان جماعة من القطط قد خرجت عليه فى الظـلام فـذبحته بعـد أن ضربته ضربا مبرحا انتقاما منه بسبب تحريم صيد الفئران عليهم إلا بتصريح رسمى . . وهمس آخرون أنه اختلف مع بعض ابناء آوى مـن اولاد عمـومته حـول توزيع أرباح أغراض ومصالح وأموال خاصة به يديرها بعضهم فى أمور وعمليات تجارية مشـبوهة . بينمـا أكدت بعض المصادر الواسعة الأطلاع من طيور البوم ان الأمر يتعلق بمؤامرة كان تدبر فى صمت ضد الأمبراطور ولكن شركاء التعلب خافوا ان يفشى سرهم كما فعل مـع الدب والذئب من قبل فقرروا التخلص منه !

ولكن همسا تناقلته الآذان بسرعة يؤكد ان الامبراطور نفسه هو الذى قتل تعاليبو بعد أن ضاق ذرعا بالاشاعات التى يؤلفها عنه وينشرها للنيل مـن مـكانته وهـو المدهش المرعب . وقد لقى هذا التفسير صدى كبيرا بين الحيوانات والطيور فسرى بين أشـجار الغابة وأركانها ودروبها السرية سريان النار فى الهشيم ، لدرجة أن مظاهرة من الثعالب المتشردة والثعالب الصحراوية قـامت تطـالب بالانتقـام لمقتل الشـهيد الذى كان حتى الأمس مكروها منهم كراهية عمياء .

ولكن بلاغا رسميا ينعى تعاليبو العظيم ويذكره بالاحترام والتقديس اللائق بذكرى الخادم الأول للعرين الأمبراطورى صدر على الفور ليؤكد الأسف الملكى لموته وليهدد بالعقاب الرادع كل من يتحدث فى أمور تمس شرفه الثعلبى أو تشكك فى عمق علاقته بالعرين وأهله .

ثم انتهى البيان بفقرات شديدة الحزن والأسف بسبب الانتحار المفاجىء للوزير ذى الذيل المنفوش والذكاء الباهر والذى حدث لأسباب شخصية تقتضى ظروف أمن الغابة الداخلية والخارجية عدم الحديث عنها على الاطلاق . .

وآثرت الحيوانات كلها السلامة والهمس وكفت عن الحديث علانية فى هذا الأمر الذى بدا وكأنه لم يعد يهمها فى كثير أو قليل . . لكن هذا لم يكن صحيحا والا لما عرفنا نحن قصة الأرنبة العجوز التى قتلت الثعلب الذى لم يكن من النوع الذى يفكر فى الانتحار تحت أية ظروف .

○

احدى الوثائق تقول ان تلك الأرنبة العجوز التى تسكن عند شاطىء النهر هى نفسها ارملة ذلك الأرنب الذى مزقه تعاليبو واقتسمه مع الذئب فى تلك الحفرة التى لجأ اليها الطابور الهارب رعبا من خطر وقوع السماء على الأرض .

ولكن وثيقة اخرى تبدو اكثر دقة قالت انما هى زوجة (بولودان) سائس الامبراطور الشهيد ـ وانها بسبب الظروف التى أحاطت بمقتل زوجها كانت تحصل على معاش استثنائى وتتمتع بحماية ملكية خاصة . !

وذكرت روايات مختلفة كثيرة غير مؤكده عنها ، كان اكثرها امعانا فى الخيال أنها تملك قدرا سحريا أهدته إليها احدى جنيات النهر عندما سمعت بكاءها على زوجها

المقتول ورأت وحدتها بعد رحيله . وقيل ان ذلك القدر المسحور كان يمتلىء بالطعام على الفور كلما فرغ منه الطعام ولذلك كان بيت الأرنبة الأرملة العجوز يمتلىء دائما بالطيور والحيوانات الصغيرة التى تأتى من كل مكان لتجد عندها دائما شيئا تأكله . .

وعلم تعاليبو بأمر ذلك القدر فصمم على الحصول عليه بأى ثمن . فلو كان صحيحا ما قيل عن قدرته العجيبة فان تعاليبو سيضمن عن طريقه وسيلة دائمة للحصول على ما يريد من فرائس لذيذة بدون بذل اى جهد فى صيدها أو مطاردتها لأنها ستنجذب بسبب الجوع الى حيث يوجد القدر المتلىء دائما بالطعام .

وقد حاول تعاليبو الحصول على القدر بيعا وشراء ولكن الأرملة لم تستجب لاغراءات الأموال التى عرضها ثمنا له . . . بل انها حذرت السمسار الذى كان يتولى مفاوضتها من الحديث مرة اخرى عن مثل هذه الخرافات .

كما أنه لم يكن يستطيع الحصول على القدر اغتصابا وعنوة لأن الأرنبة كانت تحت الحماية الامبراطورية بوصفها أرملة لشهيد امبراطورى . . وكان لجوءه الى القوة يعنى الاصطدام المباشر بالارادة الامبراطورية وهذا لم يكن فى صالحه خاصة فى الأيام الأخيرة التى اصبحت فيها علاقته بالأسد تتسم بالتوتر الخفى وعدم الرضاء الكامل .

ولم تغب محاولات الثعلب هذه عن الأمبراطور فقد حدثه ذات ليلة ساخرا من تلك الخرافات الصبيانية التى تحكى عن قدور مسحورة ! ثم نصحه محذرا من حماقات التعرض للأرامل فان ذلك لا يليق بوزير عبقرى فى بلاط (مدهش) مثله .

ولكن كل هذا لم يصرف تعاليبو عن التفكير فى القدر أو فى الوسيلة الضرورية للحصول عليه . . ولما اشتدت به الرغبة وضاقت به السبل ، توجه بنفسه إلى الأرنبة يطلب منها التنازل عن القدر وليعرض عليها الحصول على أى شىء تطلبه فى المقابل ولكن الأرنبة

استقبلته بجفاء يليق بقاتل زوجها وهددته بابلاغ الامبراطور ان لم يبتعد عنها ويتركها فى حالها . !

ولكن تعاليبو . . لم يقبل أن تخاطبه الأرانب بهذه اللهجة وأحس فى ذلك اهانة لا يغسلها الا الدم . فهو ما يزال تعاليبو الذى لم يقف فى طريقة شخص أو شيء . تعاليبو الذى سخر من كل الحيوانات ومكر بأعظمها قوة والذى تصدى ذات يوم للامبراطور نفسه وانتصر عليه ! . . . فهل تعاند معه أرنبة عجوز وأرملة وتجعله يكابد ويتعذب بسبب فكرة الاستيلاء على القدر التى تسيطر على مشاعره ؟ ! ولذلك لم يستطع أن يكظم غيظه وغضبه فقال للأرنبة العجوز وهو يفتش البيت دون أن يجد شيئا :

ـ لا تتمادى أيتها الأرنبة العجوز التى لا تساوى شيئا سوف أحضر عند منتصف الليل وسأمنحك فرصة لاظهار القدر وتسليمه . ! فرصة أخيرة حتى منتصف الليل . . وعندها لن يكون أمامك سوى اختيار واحد . . القدر أو تلحقين بزوجك الغالى غير مأسوف عليك . .

وحاولت الأرنبة أن تتكلم ولكنه صاح بها أن تخرس وخرج غاضبا متوعدا . . وهو يغلى من الغيظ والأنفعال .

○

أخذت الأرنبة العجوز تدور فى بيتها والحيرة تملأ قلبها ، ماذا تفعل ؟ . . أليس هناك حيوان فى هذه الغابة يستطيع أن يوقف هذا الظالم الخبيث عند حده ؟ . .

كادت ان تبكى وأحست أنها وحيدة بلا نصير أو صديق . . واغرورقت عيناها بالدموع وذهبت الى حيث تغسل وجهها فوقعت عينها على سكين مطبخها الكبيرة تلمع فى الركن ، وكأنها فكرة تبرق فى الظلام ! ! ووجدت الأرنبة نفسها وقد دفعتها قوة سحرية

غامضة ناحية السكين وقد جفت دموعها وهدأ قلبها ووجدت نفسها تمسك بها ثم . . تبتسم . .

وما أن أمسكت السكين حتى أحست براحة عظيمة وقوة خارقة . . وأحست أنها بحاجة للتحدث مع أى حيوان آخر لأن الأفكار فى رأسها تدوى وتوتر قلبها يزيد انفعالها . . فأخذت السكين وخرجت الى الشارع الخالى . . وجلست أمام عتبة البيت ولما لم تجد احدا من جيرانها فى هذه الساعة التى يذهب فيها الجميع إلى العمل . . أحضرت حجرا وضعته أمامها . . وأخذت تسلى نفسها بسن السكين فوقها وهى تميل أماما وخلفا مع حركة يديها بالسكين فوق الحجر :

ـ سوتش . . سويتش

أخذت صوت السكين فوق الحجر يغنى فى صوت عال . وفى لحن منغم جميل . . .

ـ سويتش . . سويتش .

واعطاها الصوت ثقة اكبر واشاع ابتسامة عريضة على وجهها . .

فازداد حماسها وأخذت تغير من النغمة طولا وقصرا وهدوءا وسرعة وكأنها تتغنى بها . واقترب عصفور أخضر صغير . . وقد جذب انتباهه الصوت الغريب الذى يسرى بين الأشجار فى سكون الظهيرة . . . .

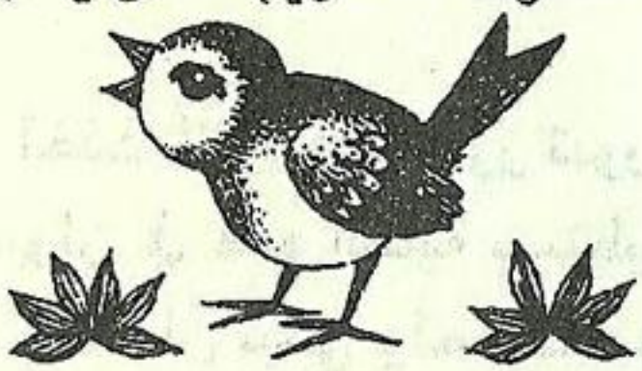

ـ ماذا تفعلين يا سيدتى الأرنبة ؟ . .

التفتت اليه الأرنبة فى حب وقالت :

ـ اننى اسن سكينى انتظارا لحضور تعاليبو الظالم عند منتصف الليل ! .

ـ ولماذا تسنين السكين يا جدتى ؟

ـ لكى ألقن تعاليبو درسا لا ينساه ! !

فتح العصفور عينيه من الدهشة وهو يتعجب من جـرأتها ثم أخـذ يصـفق بجناحيه معجبا بشجاعتها . . وشجعته ابتسامتها فمضى يزغرد ويغنى حولها :

هـل تطلبين مساعـده يا جدتـى يـا أرنبـه . .
لو تسـمحين جـدتى أنـا معـك سنغلبـه

ثم طلب منها ان تسمح له بالدخول الى بيتها ليظل الى جانبها فى انتظار الثعلب فقبلت العجوز مرحبة . وهى ترد عليه مغنية :

وحـدى أنا لا حـول لى أنت معـى . . يـا مرحبـا . .

ودخل العصفور واستقر فى ركن غرفة نومها ينتظر .

○

واستمرت الأرنبة العجوز تعزف بسكينها على الحجر : سـويتشن . . سـويش حتى مرت بها سلحفاة عجوز كانت فى طريقها إلى النهر فقالت :

ـ ماذا تفعلين يا سيدتى . ؟ .

ـ أنا اسن سكينى انتظارا لحضور تعاليبو الظالم عند منتصف الليل ؟

ـ ولماذا تسنين السكين يا سيدتى ؟ . .

ـ لكى ألقن تعاليبو درسا لا ينساه . .

لأول وهلة فكرت السلحفاة فى الاحتماء بدرقتها من هذه الكارثة ولكن صوت السـكين فوق الحجر زودها ببعض الشجاعة فقالت :

هـل تطلبيـن مسـاعده . يـا جدتـى . . يا أرنبـه
لـو تسمحـين جدتـى أنـا معـك سنغلبـه . .

وطلبت منها أن تسمح لها بالدخول إلى بيتها لتكون بجانبها عندمـا يأتى ذلك الثعلب الظالم . . . فرحبت بها العجوز وقالت مغنية :

وحـدى أنـا لا حـول لى انـت معى يـا مرحبـا . .

ودخلت السلحفاه تبحث لنفسها عن مكان تختبىء فيه وساعدتها الارنبة على الصعود الى اعلى الباب فى انتظار الثعلب . . . بينما عادت الأرنبة تعزف بسـكينها على الحجـر وقد ازداد حماسها . .

○

وجاءت اليها بيضة نعامة وعشر حبات من حبات البسلة الجافة ونحلة عسل ذهبية وابو جلمبو صغير وكلهم عرضـوا مسـاعدتهم وكلهـم دخلوا الى البيت فى انتظـار الثعلب الظالم :

اخفت البيضة نفسها فى تراب الموقد
وغطس ابو جلمبو فى دورق المياه
بينما استقرت النحلة فوقَ طرف سرير الأرنبة

ونثرت حبات البسلة الجـافة نفسـها خلف الباب مباشرة . وظـل الجميع سـاكنين ساكتين يفكرون فى اللحظة التى سيواجهون فيها تعاليبو وقد ملأتهم أغنية السكين فوق الحجر . . (سويشن سويشن) بالحماس والثقة . . واعطاهم وجودهم معا قـوة جبارة وحماسا كبيرا أكبر بكثير من أجسامهم الصغيرة الرقيقة . . .

واتفق الجميع على ترك الباب مفتوحا ، وان تطفـأ الأنوار فى البيت انتظـارا لسـاعة

منتصف الليل الموعودة . . ونامت الأرنبة فى سريرها وهى تحتضن سكينها الضخمة الغالية فى حب وثقة . !

○

وعند منتصف الليل وصل تعالييو وهو مصمم على عدم الرجوع الا ومعه القدر المسحور او قلب الأرنبة العجوز . . ولما وصل إلى الباب طرقه ولكن احدا لم يرد . . فظن ان الأرنبة قد هربت ، فدفع الباب بحنق واندفع الى الداخل حيث كان الظلام سائدا . . فتعثر ولما حاول ان يستند على الحائط اخذت حبات البسلة تدحرج نفسها تحت اقدامه فتطوحه وتنزلق تحته يمينا وشمالا فتمرجحه حتى كاد ان يقع ، فأسرع يبحث عن عود مشتعل لينير به طريقه ولكنه ما كاد ينحنى على الموقد حتى انفجرت البيضة فى وجهه فأعمته اكثر ، وانخلع قلبه لأنه لم يستطع وسط الظلام السائد ان يفسر ما حدث فأخذ يتحسس طريقه حتى عثر على الدورق . فلما اراد ان يغسل وجهه وعينيه اطبق ابو جلمبو على أنفه بكلابتيه الحادتين فصرخ واخذ يتخبط فى الظلام . فأسرع العصفور يضربه وينقره بينما أخذت النحلة تلسعه وتزن حول أذنيه . . . وخيل إليه ان مئات من المردة والشياطين قد أحاطت به وجسم له الظلام خياله المرتعب . . فلم يجد سبيلا سوى الفرار بنفسه لكنه عندما اندفع ليخرج اصطدم بالباب فاسقطت السلحفاة نفسها فوق رأسه سقطة افقدته قدرته على حفظ توازنه فاختل ووقع . . . . ورفعت الأرنبة العجوز سكينها الكبيرة عاليا وهوت بها مرة واحدة فقط . ! !

○

وهكذا انتهت قصة حياة تعاليبو وانتهت ملاعيبه . . .

ولكن الحواديت لم تنته لأنها لا يمكن أن تنتهى . .

وطالما هناك توته توته ، فرغت الحدوته فإنك لابد ستجد بعـدها : كان يامـا كان . . فى يوم من الأيام . . . . .

○

صدر للمؤلف

* أشعار بالعامية المصرية :

— كلام من القلب ـ دار الكاتب العربى ـ القاهرة ١٩٦٧
— أغنيات للأيدين السمرا ـ مجلس الاعلام الريفى ١٩٦٧
— غنوة لمصر ـ مجلس الاعلام الريفى ـ القاهرة ١٩٦٨
— فى حب مصر ـ دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ١٩٧٢
— فى حب مصر (وشطوط الحلم والحواديت)
دار الفارابى ـ بيروت ١٩٧٥
— أناشيد الحزن اللبنانية ـ دار الفارابى ١٩٧٨

* قصائد منفردة :

— رسائل إلى ليلى العامرية .
— أحزان ناصرية من عام الردة .
— جريدة حائط مصرية عن إغتيال كمال جنبلاط .

* قصائد درامية طويلة :

النشيد الفقير (عن بابلو نيرودا) دار الثقافة الجديدة ١٩٧٦
* نشيد الأناشيد المصرى ـ دار الثقافة الجديدة ١٩٧٧
* غنوة للحرب غنوة للسلام ـ القاهرة ١٩٧٧
* كانت وعاشت مصر ـ القاهرة ١٩٧٨

* كتب للأطفال :

* مغامرات مشمشة ـ دار الهلال ـ القاهرة
* ثلاث أرانب ـ دار الهلال ـ القاهرة .
* ضحكة بنت السلطان ـ دار الهلال .
* الأرنب يبحث عن ماما ـ دار المعارف .
* قطعة السكر ـ دار المعارف ـ القاهرة .
* الأصدقاء الأربعة ـ دار المعارف .
* مرجان حارس العسل ـ دار المعارف .
* رحلة الفيل ـ دار المعارف .

* رواية :

* هكذا تكلمت الأحجار ـ المركز المصرى السمعبصرى ـ القاهرة ١٩٧٩

تحت الطبع : عن المركزالمصرى السمعبصرى ـ لفنون الأطفال :

* عالم الحكايات ـ ٢ ـ رسالة إلى الشمس .
* حكايات العالم ـ ١ ـ حكايات الحيوان الأفريقية .

رقم الايداع ١٩٧٩/٢٨٧٢

الترقيم الدولى ٤ـ٥٧ـ٧٢١٠ـ٩٧٧ ISBN

هذه الروايه :

منذ سمعت فى طفولتى المبكرة ، كيف استدرج (أبو الحصين) (سرحان) إلى حظيرة أغنام (آل الوصيف) ليفوز بالأوزى اللذيذ تاركا الذئب الشره الغبى بين أسنان الكلاب وهراوات الفلاحين بحجة أنهم لا يعرفون (فك الخط) ، وأنا مفرم بالثعالب وحكايات الثعالب ، لدرجة بت أعتقد أن هذا (الغرام) . . هو سبب هام من بين الأسباب القليلة التى دفعتنى لتاليف حكايات الأطفال وقراءة التاريخ على المستويين الواقعى والأسطورى .

وقد اكتشفت ان كل من كتبوا قصصاً للأطفال أو أبدعوا الخرافات والأمثال كايسوب وبيدبا والجاحظ وكريلوف ولافونتين وشيدرن وجوزو وعثمان جلال ـ وخالتى ـ وعشرات غيرهم وقعوا فى (غرام) الثعالب مثلى ولا فخر ، فأبدعوا ذلك الحشد الهائل من الحكايات والروايات والخرافات والوقائع عن ذلك الثعلب الخالد الذكى اللماح الأريب اللبيب الخبيث الشلاه الخفيف الدم البالغ الدهاء المنافق المداهن المراوغ اللبق الألعبان المسكين ـ الانسان ـ الذى يغريه غباء الآخرين وادعائهم ويدفعه طبعه اللئيم ـ إلى ركوب الصعب والمحال واللعب على الحبال لتحقيق المقاصد وبلوغ الآمال .

وها أنذا أحاول مستعينا ببعض ذلك التراث أن أكتب قصة ثعلب مجهول ذى ملاعيب وحيل ـ زرع خلال رحلة حياته حتى لحظة مماته الكثير من البسمات والضحكات والآلام والدموع وداس فى طريق صعوده إلى القمم على رقاب ودماء الكثيرين من الخبثاء والمساكين حتى لحقه حد السكين .

فإلى روحه الثعلبية الماكرة ، أقدم سيرة حياته الحيوانية الغادرة ، فقد تكون عبرة لذوى القلوب البشرية الطاهرة .

ولما كنت ممن يعتقدون ـ صوابا أو خطأ ـ أن الكثيرين من الأطفال والصغار . . كبار بحكم الظروف ورجال بحكم الطبيعة والمستقبل ، وأعتقد أيضا ـ حقيقة أو مجازا ـ أن الكثيرين من الرجال والبالغين صغار بحكم السلوك أو أطفال بحكم الرؤى والمشاعر . . فإننى بناء على هذا الاعتقاد ـ وخوفا منه أيضا ـ أقدم هذه الرواية كذلك إلى الكبار الصغار مثلما أقدمها إلى الصغار الكبار ! ! وأضعها أمانة بين أيدى الأطفال الرجال ، والرجال الأطفال راجيا من الثعالب المعذرة ومن الأطفال العفو والسماح ومن الرجال القبول والرضا .

وإذا كان (تعاليبو) بطل قصتنا هذه يؤمن أن الحكمة التى تقول (ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع) لا تنطبق إلا على الطيور فقط . . فإننى على العكس أؤمن تماما أن (الطيور على أشكالها تقع) وهذا ينطبق على الطيور بنفس القدر الذى ينطبق فيه على الحيوان أو على بنى الانسان .

سمير عبد الباقى

الثمن ٥٠ قرشا (فى البلاد العربية والخارج ٥ ل . ل أو ما يعادلها)